تفسيرُ سورةِ محمدٍ ﷺ

بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : يقولُ تعالى ذكرُه : الذين جَحَدوا توحيدَ اللهِ وعبَدوا غيرَه ، وصدُّوا من أراد عبادتَه والإقرارَ بوحدانيتِه ، وتصديقَ نبيِّه محمدٍ ﷺ عن الذى أراد من الإسلامِ والإقرارِ والتصديقِ ، ﴿ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ . يقولُ : جعَل اللهُ أعمالَهم ضلالًا على غيرِ هدًى وغيرِ رشادٍ ؛ لأنها عُمِلت فى سبيلِ الشيطانِ ، وهى على غيرِ استقامةٍ . ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه : والذين صدَّقوا اللهَ ، وعمِلوا بطاعتِه ، واتَّبعوا أمرَه ونهيَه ، ﴿ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﴾ . يقولُ : وصدَّقوا بالكتابِ الذى / أنزل اللَّهُ على محمدٍ ، ﴿ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ﴾ . يقولُ : محَا اللَّهُ عنهم بفعلِهم ذلك سيِّئَ ما عمِلوا من الأعمالِ ، فلم يؤاخِذْهم به ، ولم يعاقِبْهم عليه ، ﴿ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾ . يقولُ : وأصلَح شأنَهم وحالَهم فى الدنيا عندَ أوليائِه ، وفى الآخرةِ بأن أورَثهم نعيمَ الأبدِ والخلودَ الدائمَ فى جناتِه . ٣٩/٢٦

وذُكر أنه [٢/٨٢٣و] عُنِى بقولِه : ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ الآية ، أهلُ مكةَ ، ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ الآية ، أهلُ المدينةِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى إسحاقُ بنُ وهبٍ الواسطىُّ ، قال : ثنا عبيدُ اللَّهِ بنُ موسى ، قال : أخبرَنا

إسرائيلُ ، عن أبى يحيى القتَّاتِ ، عن مجاهدٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ فى قولِه : ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ . قال : نزَلت فى أهلِ مكةَ ، ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ . قال : الأنصارُ[1] .

وبنحوِ الذى قلنا فى معنى قولِه : ﴿ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾ . قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى إسحاقُ بنُ وهبٍ الواسطىُّ ، قال : ثنا عبيدُ اللَّهِ بنُ موسى ، قال : ثنا إسرائيلُ ، عن أبى يحيى القتَّاتِ ، عن مجاهدٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ : ﴿ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾ . قال : أمْرَهم[1] .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، **وحدَّثنى** الحارثُ ، قال : ثنا الحسنُ ، قال : ثنا ورقاءُ ، جميعًا عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾ . قال : شأنَهم[2] .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾ . قال : أصلَح حالَهم .

حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا محمدُ بنُ ثورٍ ، عن معمرٍ ، عن قتادةَ : ﴿ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾ . قال : حالَهم[3] .

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ وَأَصْلَحَ

---

(١) أخرجه الحاكم ٢/٤٥٧ من طريق عبيد الله بن موسى به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/٤٦ إلى الفريابى وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه .

(٢) تفسير مجاهد ٦٠٤ ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/٤٦ إلى عبد بن حميد .

(٣) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ٢/٢٢٠ عن معمر به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/٤٦ إلى عبد بن حميد .

بَالَهُمْ ﴾ . قال : حالَهم[(١)] .

والبالُ كالمصدرِ مثلُ الشأنِ ، لا يُعرفُ منه فعلٌ ، ولا تكادُ العربُ تجمعُه إلا فى ضرورةِ شعرٍ ، فإذا جمَعُوه قالوا : بالاتٌ .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ﴿٣﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : هذا الذى فعَلنا بهذين الفريقين من إضلالِنا أعمالَ الكافِرين ، وتكفيرِنا عن الذين آمَنوا وعمِلوا الصالحاتِ - جزاءٌ منا لكلِّ فريقٍ منهم على فعلِه ؛ أما الكافِرون فأضلَلْنا أعمالَهم ، وجعَلناها على غيرِ استقامةٍ وهدًى ؛ بأنهم اتَّبعوا الشيطانَ فأطاعوه ، وهو الباطلُ .

٤٠/٢٦ / كما **حدَّثنى** زكريا بنُ يحيى بنِ أبى زائدةَ وعباسُ بنُ محمدٍ ، قالا : ثنا حجاجُ بنُ محمدٍ ، قال : قال ابنُ جُرَيجٍ : أخبَرنى خالدٌ أنه سمِع مجاهدًا يقولُ : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَٰطِلَ ﴾ . قال : الباطلُ الشيطانُ[(٢)] .

وأما المؤمنون فكفَّرنا عنهم سيئاتِهم ، وأصلَحنا لهم حالَهم ؛ بأنهم اتَّبعوا الحقَّ الذى جاءَهم من ربِّهم ، وهو محمدٌ ﷺ ، وما جاءَهم به من عندِ ربِّه من النورِ والبرهانِ[(٣)] ، ﴿ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ﴾ . يقولُ عزَّ وجلَّ : كما بيَّنتُ لكم أيُّها الناسُ فِعلى بفريقِ الكفرِ والإيمانِ ، كذلك نمثِّلُ للناسِ الأمثالَ ، ونشبِّهُ لهم الأشباهَ ، فنُلحِقُ بكلِّ قومٍ من الأمثالِ أشكالًا .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ

---

(١) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٧/ ٢٨٩.

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/ ٤٦ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٣) بعده فى ص ، ت ١ ، ت ٣: « وهو » .

أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه لفريقِ الإيمانِ به وبرسولِه : فإذا لقِيتم الذين كَفَروا باللَّهِ ورسولِه من أهلِ الحربِ ، فاضرِبوا رقابَهم .

وقولُه : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ ﴾ . يقولُ : حتى إذا غلَبتموهم وقهَرتم من لم تضرِبوا رقبتَه منهم ، فصاروا فى أيديكم أسرَى ، ﴿ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ ﴾ . يقولُ : فشُدُّوهم فى الوَثاقِ ؛ كيلا يقتُلوكم ، فيهرُبوا منكم .

وقولُه : ﴿ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً ﴾ . يقولُ : فإذا أسَرتموهم بعدَ الإثخانِ ؛ فإما أن تَمُنُّوا عليهم بعدَ ذلك بإطلاقِكم إياهم من الأسرِ ، وتحرِّروهم بغيرِ عوضٍ ولا فِدْيةٍ ، وإما أن يُفادوكم[1] فداءً ؛ بأن يُعطوكم من أنفسِهم عوضًا حتى تطلِقوهم وتخلُّوا لهم السبيلَ .

واختلَف أهلُ العلمِ فى قولِه : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً ﴾ ؛ **فقال بعضُهم** : هو منسوخٌ نسَخه قولُه : ﴿ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾ [التوبة : ٥] . وقولُه : ﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ ﴾ [الأنفال : ٥٧] .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا ابنُ حميدٍ وابنُ عيسى الدَّامَغانيُّ ، قالا : ثنا ابنُ المباركِ ، عن ابنِ جُرَيجٍ أنه كان يقولُ فى قولِه : ﴿ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً ﴾ : نسَخها قولُه : ﴿ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ

(١) فى ت ١ : « تفاوهم » .

حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾[١] .

حدَّثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن السدىِّ : ﴿ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً ﴾ . قال : نسَخها : ﴿ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾[٢] .

حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا ابنُ ثورٍ ، عن معمرٍ ، عن قتادةَ : ﴿ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً ﴾ : نسَخها قولُه : ﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ ﴾[٣] .

/ **حدَّثنا** بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ إلى قولِه : ﴿ وَإِمَّا فِدَآءً ﴾ : كان المسلمون إذا لقُوا المشركين قاتَلوهم ، فإذا أسَروا منهم أسيرًا ، فليس لهم إلا أن يُفادُوه ، أو يَمُنُّوا عليه ثم يرسِلوه ، فنَسَخ ذلك بعدُ قولُه : ﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ ﴾ . أى : عِظْ بهم مَن سواهم من الناسِ ، ﴿ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾[٤] . ٤١/٢٦

حدَّثنا ابنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا ابنُ ثورٍ ، عن معمرٍ ، عن عبدِ الكريمِ الجَزَرىِّ ، قال : كُتِب إلى أبى بكرٍ رضِى اللَّهُ عنه فى أسيرٍ أُسِر ، فذُكِر أنهم التمَسوه [٢/٨٢٣ظ] بفداءٍ كذا وكذا ، فقال أبو بكرٍ : اقتُلوه ، لَقَتْلُ رجلٍ من المشركين أحبُّ إلىَّ من كذا وكذا[٥] .

---

(١) أخرجه النحاس فى الناسخ والمنسوخ ص٦٦٨ من طريق ابن المبارك به .

(٢) أخرجه أبو عبيد فى ناسخه ص ٣٠٠، وفى الأموال (٣٤٣) عن عبد الرحمن به . وأخرجه ابن الجوزى فى نواسخ القرآن ص ٤٦٧، ٤٦٨ من طريق سفيان به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/٤٦ إلى عبد بن حميد .

(٣) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ٢/٢٢١ - ومن طريقه النحاس فى الناسخ والمنسوخ ص ٦٧١ - عن معمر به .

(٤) أخرجه ابن الجوزى فى النواسخ ص ٤٦٧ من طريق سعيد به ، وأخرجه أبو داود فى ناسخه - كما فى الدر المنثور ٦/٤٦ ومن طريقه ابن الجوزى فى النواسخ ص ٤٦٧ - من طريق الحجاج ، عن قتادة ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/٤٦ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٥) أخرجه عبد الرزاق فى المصنف (٩٣٩١) ، وفى تفسيره ٢/ ٢٢٠، وأبو عبيد فى الأموال (٣٥٢) من طريق معمر به .

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ ﴾ إلى آخرِ الآيةِ . قال : الفداءُ منسوخٌ ، نسَختها : ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ ﴾ إلى : ﴿ كُلَّ مَرْصَدٍ ﴾ [التوبة : ٥] . قال : فلم يبقَ لأحدٍ من المشركين عهدٌ ولا حرمةٌ بعدَ « براءة » ، وانسلاخِ الأشهرِ الحُرُمِ[(١)] .

حُدِّثتُ عن الحسينِ ، قال : سمِعتُ أبا مُعاذٍ يقولُ : أخبَرنا عبيدٌ ، قال : سمِعتُ الضحاكَ يقولُ فى قولِه : ﴿ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً ﴾ : هذا منسوخٌ ، نسَخه قولُه : ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾ . فلم يبقَ لأحدٍ من المشركين عهدٌ ولا ذمَّةٌ بعدَ « براءة »[(٢)] .

وقال آخرون : هى محكمةٌ ، وليست بمنسوخةٍ . وقالوا : لا يجوزُ قتلُ الأسيرِ ، وإنما يجوزُ المنُّ عليه والفداءُ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا ابنُ المثنى ، قال : ثنا أبو عتّابٍ سهلُ بنُ حمادٍ ، [(٣)]قال : ثنا شعبةُ[(٣)] ، قال : ثنا خُلَيدُ[(٤)] بنُ جعفرٍ ، عن الحسنِ ، قال : أُتِىَ الحجاجُ بأُسارَى ، فدفَع إلى ابنِ عمرَ رجلًا يقتُلُه ، فقال ابنُ عمرَ : ليس بهذا أُمِرنا ، قال اللَّهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً ﴾ . قال[(٥)] : البكاءُ بينَ يديه . فقال الحسنُ : لو كان

---

(١) أخرجه ابن الجوزى فى نواسخ القرآن ص٤٦٧ عن محمد بن سعد به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٦/٦ إلى ابن مردويه ، كلاهما إلى قولِه : ﴿ فإذا انسلخ الأشهر الحرم ﴾ الآية .

(٢) أخرجه عبد الرزاق فى مصنفه (٩٤٠٥) من طريق جويبر عن الضحاك ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٦/٦ إلى عبد بن حميد .

(٣ - ٣) سقط من : م . وينظر تهذيب الكمال ١٢/ ٤٧٩.

(٤) فى النسخ : « خالد » . وينظر تهذيب الكمال ٨/ ٣٠٤.

(٥) كذا فى النسخ ، ولعله سقط : فكثر . أو كلمة نحوها .

هذا وأصحابُه لابتدَروا إليهم[١] .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ وابنُ عيسى الدامغانيُّ ، قالا : ثنا ابنُ المباركِ ، عن ابنِ جُرَيجٍ ، عن عطاءٍ أنه كان يكرَهُ قتلَ المشركِ صَبْرًا . قال ويتلو هذه الآيةَ : ﴿ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً ﴾[٢] .

حدَّثنا ابنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا ابنُ ثورٍ ، عن معمرٍ ، عن الحسنِ ، قال : لا تُقتَلُ الأُسارى إلا فى الحربِ ؛ يُهيَّبُ بهم العدوُّ[٣] .

قال : ثنا ابنُ ثورٍ ، عن معمرٍ ، قال : كان عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ يَفديهم الرجلَ بالرجلِ[٤] ، وكان الحسنُ يكرَهُ أن يُفادَى بالمالِ[٥] .

قال : ثنا ابنُ ثورٍ ، عن معمرٍ ، عن رجلٍ من أهلِ الشامِ ممن كان يحرُسُ عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ ، وهو من بنى أسدٍ ، قال : ما رأَيتُ عمرَ رحِمه اللَّهُ قتَل أسيرًا إلا واحدًا من التُّركِ ؛ كان جِيء بأُسارى من التركِ ، فأمَر / بهم أن يُسترَقُّوا ، فقال رجلٌ ممن جاء ٤٢/٢٦
بهم : يا أميرَ المؤمنين ، لو كنتَ رأيتَ هذا - لأحدِهم - وهو يقتُلُ المسلمين لكثُر بكاؤُك عليهم . فقال عمرُ : فدونَك فاقتُلْه . فقام إليه فقتَله[٦] .

---

(١) أخرجه ابن أبى شيبة ٤٢٢/١٢ من طريق شعبة به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٦/٦ إلى ابن مردويه .

(٢) أخرجه النحاس فى الناسخ والمنسوخ ص٦٧٢ من طريق ابن المبارك به ، وأخرجه عبد الرزاق فى مصنفه (٩٣٨٩) ، وأبو عبيد فى ناسخه ص ٣٠٢ ، وفى الأموال (٣٢٣) ، وابن أبى شيبة ٤٢١/١٢ من طريق ابن جريج به .

(٣) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ٢٢٠/٢ عن معمر به وأخرجه فى مصنفه (٩٣٩٣) عن معمر ، عمن سمع الحسن .

(٤) كذا فى النسخ . وفى مصدر التخريج : « بالرجلين » .

(٥) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ٢٢١/٢ عن معمر به .

(٦) أخرجه عبد الرزاق فى مصنفه (٩٣٩٢) ، وفى تفسيره ٢٢٠/٢ عن معمر به .

والصوابُ مِن القولِ عندَنا فى ذلك أن هذه الآيةَ محكمةٌ غيرُ منسوخةٍ ، وذلك أن صفةَ الناسخِ والمنسوخِ ما قد بيَّنا فى غيرِ موضعٍ [١] مِن كُتُبِنا [١] أنه ما لم يَجُزِ اجتماعُ حكمَيْهما فى حالٍ واحدةٍ ، أو ما قامت الحجةُ بأنَّ أحدَهما ناسخٌ الآخرَ ، وغيرُ مستنكَرٍ أن يكونَ جَعْلُ الخيارِ فى المنِّ والفداءِ والقتلِ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وإلى القائمين بعدَه بأمرِ الأمةِ ، وإن لم يكنِ القتلُ مذكورًا فى هذه الآيةِ ؛ لأنه قد أُذِن بقتلِهم فى آيةٍ أخرى ، وذلك قولُه : ﴿ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾ الآية . بل ذلك كذلك ؛ لأن رسولَ اللَّهِ ﷺ كذلك كان يفعَلُ فى من صار أسيرًا فى يدِه من أهلِ الحربِ ، فيقتُلُ بعضًا ، ويُفادِى ببعضٍ ، ويمُنُّ على بعضٍ ، مثلَ يومِ بدرٍ ؛ قتَل عقبةَ بنَ أبى مُعَيطٍ وقد أُتِى به أسيرًا ، وقتَل بنى قُرَيظةَ وقد نزَلوا على حكمِ سعدٍ ، وصاروا فى يدِه سِلمًا ، وهو على فدائِهم والمنِّ عليهم قادرٌ ، وفادَى بجماعةِ أُسارى المشركين الذين أُسِروا ببدرٍ ، ومنَّ على ثُمامةَ بنِ أُثالٍ الحنفىِّ وهو أسيرٌ فى يدِه ، ولم يزَلْ ذلك ثابتًا من سِيَرِه فى أهلِ الحربِ ، من لَدُنْ أذِن اللَّهُ له بحربِهم إلى أن قبَضه إليه ﷺ ، دائمًا ذلك فيهم . وإنما ذكَر جلَّ ثناؤُه فى هذه الآيةِ المنَّ والفداءَ فى الأُسارى ، فخصَّ ذكرَهما فيها ؛ لأن الأمرَ بقتلِهما والإذنَ منه بذلك قد كان تقدَّم فى سائرِ آيِ تنزيلِه مكرَّرًا ، فأعلَم نبيَّه ﷺ بما ذكَر فى هذه الآيةِ من المنِّ والفداءِ ما له فيهم ، مع القتلِ .

وقولُه : ﴿ حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه : فإذا لقِيتم الذين كفَروا فاضرِبوا رقابَهم ، وافعَلوا بأَسراهم ما بيَّنتُ لكم ، حتى تضعَ الحربُ آثامَها [٢] وأثقالَ أهلِها المشرِكين باللَّهِ ، بأن يتوبوا إلى اللَّهِ من شركِهم فيؤمنوا به وبرسولِه ،

(١ - ١) فى م : « فى كتابنا » ، وفى ت ١ : « من كتابنا هذا » . وينظر ما تقدم فى ٢/ ٤٥٨ .

(٢) فى ت ١ : « أثقالها » . وفى ت ٢ ، ت ٣ : « أثائها » .

ويطيعوه فى أمرِه ونهيِه ، فذلك وضعُ الحربِ أوزارَها . وقيل : ﴿ حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾ . والمعنى : حتى تُلْقِيَ الحربُ أوزارَ أهلِها . وقيل : معنى ذلك : حتى يضعَ المحاربُ أوزارَه .

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، **وحدَّثنى** [٢/٨٢٤و] الحارثُ ، قال : ثنا الحسنُ ، قال : ثنا ورقاءُ ، جميعًا عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ قولَه : ﴿ حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾ . قال : حتى يخرُجَ عيسى ابنُ مريمَ ، فيُسلمَ كلُّ يهوديٍّ ونصرانيٍّ وصاحبِ ملةٍ ، وتأمَنَ الشاةُ من الذئبِ ، ولا تَقرِضَ فأرةٌ جرابًا ، وتذهبَ العداوةُ من الأشياءِ كلِّها ؛ ذلك ظهورُ الإسلامِ على الدينِ كلِّه ، وينعَمَ الرجلُ المسلمُ ، حتى تقطُرَ[(١)] رجلُه دمًا إذا وضَعها[(٢)] .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾ : حتى لا يكونَ شركٌ .

٤٣/٢٦ / **حدَّثنا** ابنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا ابنُ ثورٍ ، عن معمرٍ ، عن قتادةَ : ﴿ حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾ . قال : حتى لا يكونَ شركٌ[(٣)] .

ذكرُ مَن قال : عُنِى بالحربِ فى هذا الموضعِ المحاربون

حدَّثنا ابنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا ابنُ ثورٍ ، عن معمرٍ ، عن قتادةَ : ﴿ حَتَّىٰ تَضَعَ

---

(١) فى ص : « ينفطر » ، وفى ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « تنقطر » .

(٢) تفسير مجاهد ص ٦٠٤ ، ومن طريقه البيهقى ٩/ ١٨٠ ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/٤٧ إلى الفريابى وعبد بن حميد وابن المنذر .

(٣) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ٢/٢٢١ عن معمر به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/٤٧ إلى عبد بن حميد .

﴿ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾ . قال : الحربُ : مَن كان يقاتِلُهم ، سمَّاهم حربًا[١] .

وقولُه : ﴿ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه : هذا الذى أمَرتُكم به أيُّها المؤمنون من قتلِ المشركين إذا لقِيتموهم فى حربٍ ، وشدِّهم وثاقًا بعدَ[٢] قهرِهم ، وأسرِهم ، و[٣] المنِّ والفداءِ حتى تَضَعَ الحربُ أوزارَها - هو الحقُّ الذى ألزَمكم ربُّكم ، ولو يشاءُ ربُّكم ويريدُ لانتَصَر من هؤلاء المشركين الذين بيَّنَّ هذا الحكمَ فيهم بعقوبةٍ منه لهم عاجلةٍ ، وكفاكم ذلك كلَّه ، ولكنه تعالى ذكرُه كرِه[٤] الانتصارَ منهم وعقوبتَهم عاجلًا ، إلا بأيديكم أيُّها المؤمنون ؛ ﴿ لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ﴾ . يقولُ : ليختبرَكم بهم فيعلمَ المجاهدين منكم والصابرين ، ويبلوَهم بكم فيعاقبَ بأيديكم مَن شاء منهم ، [٥]ويَعِظَ[٦] مَن شاء منهم[٥] بمَن أهلَك بأيديكم[٧] مَن شاء منهم حتى يُنيبَ إلى الحقِّ .

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ ﴾ : إى واللَّهِ ، بجنودِه الكثيرةِ ، كلُّ خلقِه له جندٌ ، ولو سلَّط أضعفَ خلقِه لكان جندًا[٨] .

---

(١) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ٢/٢٢١ عن معمر به .

(٢) فى ت ٢، ت ٣: « و » .

(٣) سقط من : ص ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٤) فى ص ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « ذكر » .

(٥ - ٥) سقط من : ت ٢، ت ٣.

(٦) فى م : « يتعظ » .

(٧) فى ت ٢، ت ٣: « بأيديهم » .

(٨) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/٤٨ إلى المصنف وعبد بن حميد .

وقولُه : (والذين قاتَلوا فى سبيلِ اللَّهِ) . **اختلَفت القرأةُ فى قراءةِ ذلك** ؛ فقرَأته عامةُ قرأةِ الحجازِ والكوفةِ : (والذين قاتَلوا)[١] . بمعنى : حارَبوا المشركين وجاهَدوهم . بالألفِ . وكان الحسنُ البصرىُّ فيما ذُكِر عنه يقرؤُه : (قُتِّلوا) بضمِّ القافِ وتشديدِ التاءِ[٢] . بمعنى أنه قتَلَهم المشركون بعضَهم بعدَ بعضٍ ، غيرَ أنه لم يُسمَّ الفاعلون . وذُكِر عن الجحدرىِّ عاصمٍ أنه كان يقرَأُ : (قَتَلُوا) بفتحِ القافِ وتخفيفِ التاءِ[٣] . بمعنى : والذين قتَلوا المشركين باللَّهِ . وكان أبو عمرٍو يقرؤُه : ﴿ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ ﴾ بضمِّ القافِ وتخفيفِ التاءِ[٤] . بمعنى : والذين قتَلهم المشركون . ثم أسقَط الفاعلين ، فجعَلهم لم يسمَّ فاعلُ ذلك بهم .

وأولى القراءاتِ بالصوابِ قراءةُ من قرَأه : (وَالَّذِينَ قاتَلُوا) ؛ لاتفاقِ الحجةِ من القرأةِ ، وإن كان لجميعِها وجوهٌ مفهومةٌ .

وإذ كان ذلك أولى القراءاتِ عندَنا بالصوابِ ، فتأويلُ الكلامِ : والذين قاتَلوا منكم أيُّها المؤمنون أعداءَ اللَّهِ من الكفارِ فى دينِ اللَّهِ ، وفى نُصرةِ ما بُعِث به رسولُه محمدٌ ﷺ من الهُدى ، فجاهَدوهم فى ذلك ، ﴿ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ فلن يجعَلَ اللَّهُ أعمالَهم التى عمِلوها فى الدنيا ضلالًا عليهم ، كما أضلَّ أعمالَ الكافرين .

وذُكِر أن هذه الآيةَ عُنِى بها أهلُ أُحدٍ .

/ ذكرُ مَن قال ذلك ٤٤/٢٦

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ

---

(١) وهى قراءة نافع وابن كثير وابن عامر وعاصم فى رواية أبى بكر وحمزة والكسائى . التيسير ص ١٦٢.

(٢) وهى قراءة شاذة ، ينظر إتحاف فضلاء البشر ص ٢٤٣.

(٣) وهى قراءة شاذة . ينظر تفسير القرطبى ١٦/ ٢٣٠.

(٤) وبها قرأ عاصم فى رواية حفص . التيسير ص ١٦٢.

ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ : ذُكِر لنا أن هذه الآيةَ أُنزِلت يومَ أُحدٍ ورسولُ اللَّهِ ﷺ فى الشِّعبِ ، وقد فَشَت فيهم الجراحاتُ والقتلُ ، وقد نادَى المشركون يومَئذٍ : اعْلُ هُبَلُ . فنادَى المسلمون : اللَّهُ أعلى وأجلُّ . فنادَى المشركون : يومٌ بيومٍ ، إن الحربَ سِجالٌ ، إن لنا عُزَّى ولا عُزَّى لكم . قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « اللَّهُ مَوْلانا ولَا مَوْلَى لكم ، إن القَتْلَى مختلِفَةٌ ؛ أمَّا قتلانا فأحياءٌ يُرزَقون ، وأما قتلاكم ففى النارِ يُعَذَّبون »[(١)] .

حدَّثنا ابنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا ابنُ ثورٍ ، عن معمرٍ ، عن قتادةَ : ﴿ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ . قال : الذين قُتِلوا يومَ أُحدٍ[(٢)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝٥ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ۝٦ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۝٧ ﴾ .

[٢/٨٢٤ظ] يقولُ تعالى ذكرُه : سيوفِّقُ[(٣)] اللَّهُ تعالى ذكرُه للعملِ بما يرضَى ويحبُّ - هؤلاء الذين قاتَلوا فى سبيلِه ، ﴿ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴾ : ويُصلِحُ أمرَهم[(٤)] وحالَهم فى الدنيا والآخرةِ ، ﴿ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴾ . يقولُ : ويُدخِلُهم اللَّهُ جنتَه ، ﴿ عَرَّفَهَا[(٥)] ﴾ . يقولُ : عرَّفها لهم وبيَّنها ، حتى إن الرجلَ لَيأتى منزلَه منها إذا دخَلها كما كان يأتى منزلَه فى الدنيا ، لا يُشكِلُ عليه ذلك .

كما **حدَّثنا** ابنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا ابنُ ثورٍ ، عن معمرٍ ، عن قتادةَ ، عن أبى سعيدٍ الخُدْرِىِّ ، قال : إذا نجَّى اللَّهُ المؤمنين من النارِ حُبِسوا على قنطرةٍ بينَ الجنةِ

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/٤٨ إلى المصنف وعبد بن حميد وابن أبى حاتم .

(٢) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ٢/٢٢١ عن معمر به .

(٣) فى ت ٢، ت ٣: « سيوفقهم » .

(٤) فى ت ٣: « بالهم » .

(٥) بعده فى ت ٣: « لهم » .

والنارِ ، فاقتصَّ بعضُهم من بعضٍ مظالمَ كثيرةً كانت بينَهم فى الدنيا ، ثم يُؤذَنُ لهم بالدخولِ فى الجنةِ . قال : فما كان المؤمنُ بأدلَّ بمنزلِه فى الدنيا منه بمنزلِه فى الجنةِ حينَ يدخُلُها[١] .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴾ . قال : أى منازلَهم فيها[٢] .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، **وحدَّثنى** الحارثُ ، قال : ثنا الحسنُ ، قال : ثنا ورقاءُ ، جميعًا عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِه : ﴿ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴾ . قال : يهتدِى أهلُها إلى بيوتِهم ومساكنِهم وحيثُ قسَم اللَّهُ لهم ، لا يُخطِئون ، كأنهم[٣] سكانُها[٤] منذُ خُلِقوا ، لا يستدِلُّون عليها أحدًا[٥] .

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ / عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴾ . قال : بلَغنا عن غيرِ واحدٍ ، قال : يدخُلُ أهلُ الجنةِ الجنةَ ، ولهم أعْرَفُ بمنازلِهم فيها من منازلِهم فى الدنيا التى يختلِفون إليها فى عُمُرِ الدنيا . قال : فتلك قولُ اللَّهِ جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴾[٦] . ٤٥/٢٦

---

(١) أخرجه أحمد ١٠٦/١٨ (١١٥٤٨) من طريق معمر عن قتادة فى قوله : ﴿ ونزعنا ما فى صدورهم من غل ﴾ . قال حدثنا أبو المتوكل الناجى عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ . وتقدم تخريجه مرفوعا فى ١٤/ ٧٩.

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٨/٦ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٣) فى ت ١: « كأنها » .

(٤) فى ص ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « سكانهم » .

(٥) تفسير مجاهد ص ٦٠٤، ٦٠٥، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٨/٦ إلى عبد بن حميد .

(٦) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٧/ ٢٩٢.

وقولُه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه : يأيُّها الذين صدَّقوا اللَّهَ ورسولَه ، إن تنصُروا اللَّهَ ؛ بنصرِكم[١] رسولَه محمدًا ﷺ على أعدائِه من أهلِ الكفرِ به ، وجهادِكم إياهم معه لتكونَ كلمتُه العُليا - ينصُرْكم عليهم ، ويُظفِرْكم بهم ، فإنه ناصرٌ دينَه وأولياءَه .

كما **حدَّثنا** بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ ﴾ : إنه[٢] حقٌّ على اللَّهِ أن يعطيَ مَن سأَله ، وينصُرَ مَن نصَره[٣] .

وقولُه : ﴿ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴾ . يقولُ : ويُقوِّكم[٤] عليهم ويُجرِّئكم ؛ حتى لا تَوَلَّوْا عنهم ، وإن كثُر عددُهم وقلَّ عددُكم .

القولُ في تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعۡسٗا لَّهُمۡ وَأَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝٨ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝٩ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : والذين كَفَروا باللَّهِ ، فجحَدوا توحيدَه ، ﴿ فَتَعۡسٗا لَّهُمۡ ﴾ . يقولُ : فخِزيًا لهم وشقاءً وبلاءً .

كما **حدَّثني** يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ في قولِه : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعۡسٗا لَّهُمۡ ﴾ . قال : شقاءً لهم[٥] .

وقولُه : ﴿ وَأَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴾ . [٦]يقولُ : وجعَل أعمالَهم[٦] معمولةً على غيرِ

---

(١) في ص ، ت ١ ، ت ٢ : « ينصركم » ، وفي م : « ينصركم بنصركم » .

(٢) في م : « لأنه » .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٦/٤٨ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٤) في ص ، ت ٢ ، ت ٣ : « يقويكم » .

(٥) ذكره البغوي في تفسيره ٧/ ٢٨١ .

(٦ - ٦) سقط من : ت ٢ ، ت ٣ .

هدًى ولا استقامةٍ ؛ لأنها عُمِلتْ فى طاعةِ الشيطانِ لا فى طاعةِ الرحمنِ .

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾ . قال : الضلالةُ التى أضلَّهم اللَّهُ ؛ لم يهدِهم كما هدَى الآخرين ، فإن الضلالةَ التى أخبَرك اللَّهُ : ﴿ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ [النحل : ٩٣ ، فاطر : ٨] . قال : وهؤلاء ممن جعَل اللَّهُ[(١)] عملَه ضلالًا .

ورُدَّ قولُه : ﴿ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾ . على قولِه : ﴿ فَتَعْسًا لَّهُمْ ﴾ . وهو فعْلٌ ماضٍ ، و« التعْسُ » اسمٌ ؛ لأن « التعْسَ » وإن كان اسمًا ففى معنى الفعلِ ؛ لما فيه من معنى الدعاءِ ، فهو بمعنى : أتعَسَهم اللَّهُ . فلذلك صلَح ردُّ ﴿وَأَضَلَّ﴾ عليه ؛ لأن الدعاءَ يَجرِى مَجرَى الأمرِ والنهيِ ، وكذلك قولُه : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ ﴾ . مردودةٌ على أمرٍ مضمَرٍ ناصبٍ لـ « ضَرْبَ » .

/ وقولُه : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه : هذا الذى فعَلنا بهم من الإتعاسِ وإضلالِ الأعمالِ ؛ من أجلِ أنهم كرِهوا كتابَنا الذى أنزَلناه إلى نبيِّنا محمدٍ ﷺ وسخِطوه ، فكذَّبوا به وقالوا : هو[(٢)] سحرٌ مبينٌ . ٤٦/٢٦

وقولُه : ﴿ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ . يقولُ : فأبطَل أعمالَهم التى عمِلوها فى الدنيا ، وذلك عبادتُهم الآلهةَ ، لم ينفَعْهم اللَّهُ بها فى الدنيا ولا فى الآخرةِ ، بل أوبَقَهم بها فأصْلاهم سعيرًا ، وهذا [٢/٨٢٥و] حكْمُ اللَّهِ جلَّ جلالُه فى جميعِ مَن كفَر به من

---

(١) سقط من : م ، ت ١ .

(٢) فى ت ١ ، ت ٢ : « هذا » .

أجناس الأمم ، كما قال قتادةُ .

حدَّثنا ابنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا ابنُ ثورٍ ، عن معمرٍ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ فَتَعْسًا لَّهُمْ ﴾ . قال : هى عامةٌ للكفارِ[(١)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا ﴿١٠﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : أفلم يَسِرْ هؤلاء المكذِّبون محمدًا ﷺ ، المنكِرو ما أنزَلْنا عليه من الكتابِ ، فى الأرضِ سَفْرًا ؟ وإنما هذا توبيخٌ من اللَّهِ لهم ؛ لأنهم قد كانوا يسافِرون إلى الشامِ فيرَون نقمةَ اللَّهِ التى أحلَّها بأهلِ حِجْرٍ مِن[(٢)] ثمودَ ، ويرَون فى سَفَرِهم إلى اليمنِ ما أحلَّ اللَّهُ بسَبَأٍ ، فقال لنبيِّه عليه الصلاةُ والسلامُ وللمؤمنين به : أفلم يَسِرْ هؤلاء المشركون سَفْرًا فى البلادِ ، فينظُروا كيف كان عاقبةُ تكذيبِ[(٣)] الذين من قبلِهم من الأممِ المكذِّبةِ رسلَها ، الرادَّةِ نصائحَها ، ألم نُهلِكْها فندمِّرْ عليها منازلَها ونخرِّبْها ، فيتعِظوا بذلك ، ويحذَروا أن يفعَلَ اللَّهُ ذلك بهم فى تكذيبِهم إياه ، فيُنيبوا إلى طاعةِ اللَّهِ فى تصديقِك ؟ ثم توعَّدَهم جلَّ ثناؤُه ، وأخبَرهم[(٤)] إن هم[(٤)] أقاموا على تكذيبِهم رسولَه ، أنه مُحِلٌّ بهم من العذابِ ما أحلَّ بالذين كانوا من قبلِهم من الأممِ ، فقال : ﴿ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا ﴾ . يقولُ : وللكافرين من قريشٍ المكذِّبى رسولِ اللَّهِ ﷺ من العذابِ العاجلِ ، أمثالُ عاقبةِ تكذيبِ الأممِ الذين كانوا من قبلِهم رسلَهم ، على تكذيبِهم رسولَه محمدًا ﷺ .

---

(١) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ٢/٢٢٢ عن معمر به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/٤٨ إلى عبد بن حميد .

(٢) سقط من : م ، ت ١ .

(٣) سقط من : ت ١ .

(٤ - ٤) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ : « أنهم » .

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، **وحدَّثنى** الحارثُ ، قال : ثنا الحسنُ ، قال : ثنا ورقاءُ ، جميعًا عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِه : ﴿ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا ﴾ . قال : مِثلُ ما دُمِّرَت به القرونُ الأولى . وعيدٌ من اللَّهِ لهم[1] .

٤٧/٢٦ / **القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى :** ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : هذا الفعلُ الذى فعَلنا بهذين الفريقين ؛ فريقِ الإيمانِ وفريقِ الكفرِ ؛ من نُصرتِنا فريقَ الإيمانِ باللَّهِ وتثبيتِنا أقدامَهم ، وتدميرِنا على فريقِ الكفرِ ، ﴿ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ . يقولُ : من أجلِ أن اللَّهَ وليُّ مَن آمَن به وأطاع رسولَه .

كما **حدَّثنى** محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، **وحدَّثنى** الحارثُ ، قال : ثنا الحسنُ قال : ثنا ورقاءُ ، جميعًا عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِه : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ . قال : وَلِيُّهم[2] .

وقد ذُكِر لنا أن ذلك فى قراءةِ عبدِ اللَّهِ : (ذلكَ بأنَّ اللَّهَ وَلِىُّ الَّذِين آمَنُوا)[3] .

---

(١) تفسير مجاهد ص ٦٠٥ ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٨/٦ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٢) أخرجه الفريابى - كما فى تغليق التعليق ٣١٢/٤ - من طريق ورقاء به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٨/٦ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٣) ذكره القرطبى فى تفسيره ٢٣٤/١٦ ، والقراءة شاذة .

وأنَّ التى فى «المائدةِ» ، التى هى فى مصاحفِنا : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ﴾ [المائدة : ٥٥] : (إِنَّمَا مَوْلاكُمُ اللَّهُ) فى قراءتِه .

وقولُه : ﴿ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴾ . يقولُ : وبأن الكافرين باللَّهِ لا وليَّ لهم ولا ناصرَ .

وقولُه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه : إن اللَّهَ له الألوهةُ التى لا تنبغِى لغيرِه ، يُدخِلُ الذين آمَنوا باللَّهِ وبرسولِه بساتينَ تجرِى من تحتِ أشجارِها الأنهارُ ، يفعَلُ ذلك بهم تكرِمةً على إيمانِهم به وبرسولِه .

وقولُه : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ ﴾ . يقولُ جلَّ ثناؤُه : والذين جحَدوا توحيدَ اللَّهِ وكذَّبوا رسولَه ﷺ ، يتمتَّعون فى هذه الدنيا بحُطامِها ورِياشِها وزينتِها الفانيةِ الدارسةِ ، ويأكُلون فيها غيرَ مفكِّرين فى المعادِ ، ولا معتبِرين بما وضَع اللَّهُ لخلقِه من الحججِ المؤدِّيةِ لهم إلى علمِ توحيدِ اللَّهِ ، ومعرفةِ صدْقِ رسلِه ، فمَثَلُهم فى أكلِهم ما يأكُلون فيها من غيرِ علمٍ منهم بذلك وغيرِ معرفةٍ ، مَثَلُ الأنعامِ من البهائمِ المسخَّرةِ التى لا همَّةَ لها إلا فى الاعتلافِ دونَ غيرِه ، ﴿ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾ . يقولُ جلَّ ثناؤُه : والنارُ نارُ جهنمَ مسكنٌ لهم ومأوًى ، إليها يصيرون من بعدِ مماتِهم .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾ ﴾ .

[٨٢٥/٢ظ] يقولُ تعالى ذكرُه : وكَمْ يا محمدُ من قريةٍ ﴿ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ﴾ . يقولُ : أهلُها أشدُّ بأسًا وأكثرُ جمعًا وأعدُّ عديدًا من أهلِ قريتِك ، وهى

مكةُ . وأُخرِج الخبرُ عن القريةِ والمرادُ به أهلُها .

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

٤٨/٢٦ / ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ ﴾ . قال : هى مكةُ .

حدَّثنا ابنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا ابنُ ثورٍ ، عن معمرٍ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ﴾ . قال : قريَتُه مكةُ[1] .

حدَّثنا ابنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا المعتمرُ بنُ سليمانَ ، عن أبيه ، عن حَنَشٍ[2] ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، أن نبىَّ اللَّهِ ﷺ لما خرَج من مكةَ إلى الغارِ ، أُراه قال : التفَت إلى مكةَ ، فقال : « أنتِ أحبُّ بلادِ اللَّهِ إلى اللَّهِ ، وأنتِ أحبُّ بلادِ اللَّهِ إلىَّ ، فلو أنَّ المشركين لم يُخرِجونى لم أخْرُجْ منكِ ، فأعتى الأعداءِ مَن عتا على اللَّهِ فى حرَمِه ، أو قتَل غيرَ قاتلِه ، أو قتَل بذُحولِ[3] الجاهليةِ » . فأنزَل اللَّهُ تبارَك وتعالى : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴾[4] .

وقال جلَّ ثناؤُه : ﴿ أَخْرَجَتْكَ ﴾ . فأُخرِج الخبرُ عن القريةِ ؛ فلذلك أُنِّث ، ثم قال : ﴿ أَهْلَكْنَٰهُمْ ﴾ ؛ لأن المعنى فى قولِه : ﴿ أَخْرَجَتْكَ ﴾ . ما وصَفتُ من أنه أُريدَ

---

(١) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ٢/٢٢٢ عن معمر به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/ ٤٨، ٤٩ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٢) فى م ، ت ١: « حبيش » . ينظر تهذيب الكمال ٦/ ٤٦٥.

(٣) الذحول : جمع ذحْل ؛ وهو الحقد ، والثأر . الوسيط (ذ ح ل) .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم – كما فى تفسير ابن كثير ٧/٢٩٤ – من طريق ابن عبد الأعلى به ، وأخرجه أبو يعلى – كما فى المطالب العالية (٤١٠٣) – عن المعتمر بن سليمان به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/٤٨ إلى عبد بن حميد وابن مردويه .

به أهلُ القريةِ ، فأخرِج الخبرُ مرةً على اللفظِ ومرةً على المعنى .

وقولُه : ﴿ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴾ . فيه **وجهان** من التأويلِ ؛ **أحدُهما** : أن يكونَ معناه ، وإن كان قد نُصِب « الناصرُ » بالتبرئةِ : فلم يكُنْ لهم ناصرٌ . وذلك أن العربَ قد تُضمِرُ « كان » أحيانًا فى مثلِ هذا . **والآخرُ** : أن يكونَ معناه : فلا ناصرَ لهم الآنَ من عذابِ اللَّهِ ينصُرُهم .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم ﴿١٤﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : أفمَن كان على برهانٍ وحجةٍ وبيانٍ مِن أمرِ ربِّه والعلمِ بوحدانيتِه ، فهو يعبُدُه على بصيرةٍ منه ، بأن له ربًّا يُجازيه على طاعتِه إياه الجنةَ ، وعلى إساءتِه ومعصيتِه إياه النارَ ، ﴿ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ ﴾ . يقولُ : كمَن حسَّن له الشيطانُ قبيحَ عملِه وسيئَه ، فأُراه جميلًا ، فهو على العملِ به مقيمٌ ، ﴿ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم ﴾ . يقولُ : واتَّبعوا ما دعَتْهم[1] إليه أنفسُهم من معصيةِ اللَّهِ وعبادةِ الأوثانِ ، من غيرِ أن يكونَ عندَهم بما يعمَلون من ذلك برهانٌ وحجةٌ . وقيل : إن الذى عُنِى بقولِه : ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ . نبيُّنا عليه الصلاةُ والسلامُ ، وإن الذى عُنِى بقولِه : ﴿ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ ﴾ . هم المشركون .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ / طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ٤٩/٢٦
وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾ ﴾ .

---

(١) فى ت ١ : « دعوته » .

يقولُ تعالى ذكرُه : صفةُ الجنةِ التى وُعِدَها المتقون ، وهم الذين اتَّقَوا فى الدنيا عقابَه ؛ بأداءِ فرائضِه واجتنابِ معاصيه ، ﴿ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه : فى هذه الجنةِ التى ذكَرها أنهارٌ مِن ماءٍ غيرِ متغيِّرِ الريحِ . يقالُ منه : قد أسِن ماءُ هذه البئرِ ، إذا تغيَّرت ريحُ مائِها فأنتَنت ، فهو يَأْسَنُ أسَنًا . وكذلك يُقالُ للرجلِ إذا أصابَته ريحٌ منتِنةٌ : قد أَسِنَ ، فهو يأْسَنُ . وأما إذا أَجَن الماءُ وتغيَّر ، فإنه يقالُ له : أسَن ، فهو يأسِنُ ، ويأسُنُ أُسونًا ، وماءٌ آسنٌ .

وبنحوِ الذى قلنا فى معنى قولِه : ﴿ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ ﴾ قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى علىٌّ ، قال : ثنا أبو صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ ، عن علىٍّ ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِه : ﴿ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ ﴾ . يقولُ : غيرِ متغيِّرٍ[(١)] .

حدَّثنا ابنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا ابنُ ثورٍ ، عن معمرٍ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ ﴾ . قال : من ماءٍ غيرِ مُنْتِنٍ[(٢)] .

حدَّثنى عيسى بنُ عمرٍو ، قال : أخبَرنا إبراهيمُ بنُ محمدٍ ، قال : ثنا مصعبُ بنُ سلَّامٍ ، عن سعدِ بنِ طَرِيفٍ ، قال : سألتُ أبا إسحاقَ عن : ﴿ مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ ﴾ ، قال : سألتُ عنها الحارثَ ، فحدَّثنى أن الماءَ الذى غيرُ آسنٍ « تسنيمٌ » ، قال : بلَغنى أنه لا تمسُّه يدٌ ، وأنه يجىءُ الماءُ هكذا حتى يدخُلَ فى فيه[(٣)] .

وقولُه : ﴿ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه : وفيها أنهارٌ من

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم - كما فى التغليق ٣١٢/٤ والإتقان ٤٣/٢ - من طريق أبى صالح به .

(٢) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ٢٢٢/٢ عن معمر به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٩/٦ إلى عبد بن حميد .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٩/٦ إلى المصنف .

لبنٍ لم يتغيَّرْ طعمُه ؛ لأنه لم يُحْلَبْ من حيوانٍ فيتغيَّرَ طعمُه بالخروجِ من الضُّروعِ ، ولكنه خلَقه اللَّهُ ابتداءً فى الأنهارِ ، فهو بهيئتِه لم يتغيَّرْ عما خلَقه عليه .

وقولُه : ﴿ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴾ . يقولُ : [٨٢٦/٢و] وفيها أنهارٌ من خمرٍ لذةٍ للشاربين يلتذُّون بشربِها .

كما **حدَّثنى** عيسى ، قال : ثنا إبراهيمُ بنُ محمدٍ ، قال : ثنا مصعبٌ ، عن سعدِ ابنِ طريفٍ ، قال : سألت عنها الحارثَ ، فقال : لم تَدُسْه المجوسُ ، ولم ينفُخْ فيه الشيطانُ ، ولم تؤذِها شمسٌ ، ولكنها فَوْحَاءُ . قال : قلتُ لعكرمةَ : ما الفوحاءُ ؟ قال : الصفراءُ .

وكما **حدَّثنى** سعدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ الحكمِ ، قال : ثنا حفصُ بنُ عمرَ ، قال : ثنا الحكمُ بنُ أبانٍ ، عن عكرمةَ فى قولِه : ﴿ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ ﴾ . قال : لم يُحلَبْ[1] .

وخُفِضت « اللذةُ » على النعتِ « للخمرِ » ، ولو جاءت رفعًا على النعتِ « للأنهارِ » جاز ، أو نصبًا على : يتلذَّذُ بها لذَّةً . كما يقالُ : هذا لك هبةً . كان جائزًا ؛ فأما القراءةُ فلا أستجيزُها فيها إلا خفضًا ؛ لإجماعِ الحجةِ من القرأةِ عليها .

وقولُه : ﴿ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ﴾ . يقولُ : وفيها أنهارٌ من عسلٍ قد صُفِّى من القَذَى وما يكونُ / فى عسلِ أهلِ الدنيا قبلَ التصفيةِ . وإنما أعلَم تعالى ذكرُه عبادَه بوصفِه ٥٠/٢٦
ذلك العسلَ بأنه مُصَفًّى ، أنه خُلِق فى الأنهارِ ابتداءً سائلًا جاريًا سيلَ الماءِ واللبنِ المخلوقَينِ فيها ، فهو من أجلِ ذلك مُصفًّى ، قد صفَّاه اللَّهُ من الأقذاءِ التى تكونُ فى عسلِ أهلِ الدنيا ، الذى لا يصفو من الأقذاءِ إلا بعدَ التصفيةِ ؛ لأنه كان فى شمعٍ فصُفِّى منه .

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٩/٦ إلى المصنف وعبد بن حميد عن عكرمة ، عن ابن عباس .

وقولُه : ﴿ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه : ولهؤلاء المتقين فى هذه الجنةِ من هذه الأنهارِ التى ذكرنا ، من جميعِ الثمراتِ التى تكونُ على الأشجارِ ، ﴿ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ . يقولُ : وعفوٌ مِن اللَّهِ لهم عن ذنوبِهم التى أذنَبوها فى الدنيا ثم تابوا منها ، وصَفْحٌ منه لهم عن العقوبةِ عليها .

وقولُه : ﴿ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه : أمَن هو فى هذه الجنةِ التى صفتُها ما وصَفْنا ، كمَن هو خالدٌ فى النارِ ؟ وابتُدئَ الكلامُ بصفةِ الجنةِ ، فقيل : ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ . ولم يُقَلْ : أمَن هو فى الجنةِ . ثم قيل بعدَ انقضاءِ الخبرِ عن الجنةِ وصفتِها : ﴿ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ ﴾ . إنما قيل ذلك كذلك استغناءً بمعرفةِ السامعِ معنى الكلامِ ، ولدلالةِ قولِه : ﴿ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ ﴾ . على معنى قولِه : ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ .

وقولُه : ﴿ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه : وسُقِىَ هؤلاء الذين هم خلودٌ فى النارِ ماءً قد انتَهَى حرُّه ، فقطَّع ذلك الماءُ من شدَّةِ حرِّه أمعاءَهم .

كما **حدَّثنى** محمدُ بنُ خلفٍ العَسْقلانىُّ ، قال : ثنا حَيْوةُ بنُ شُريحٍ الحِمصِىُّ ، قال : ثنا بقيَّةُ ، عن صفوانَ بنِ عمرٍو ، قال : ثنى عبيدُ اللَّهِ بنُ بُسرٍ[1] ، عن أبى أُمامةَ الباهلىِّ ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ فى قولِه : ﴿ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ ﴾ [إبراهيم : ١٦، ١٧] . قال : « يُقَرَّبُ إليه فيَتكرَّهُه[2] ، فإذا أُدْنىَ منه شَوَى وجْهَه ، ووقَعت فروةُ رأسِه ، فإذا شَرِب قطَّع أمعاءَه حتى يَخرُجَ من دُبُرِه . يقولُ اللَّهُ : ﴿ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴾ . يقولُ اللَّهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ

---

(١) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « بشر » . وقد تقدم على الصواب فى ١٣/ ٦٢٠.

(٢) فى ت ١: « فيكرهه » .

ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾[1] » [الكهف : ٢٩] .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : ومِن هؤلاء الكفارِ يا محمدُ ﴿ مَّن يَسْتَمِعُ[2] إِلَيْكَ ﴾ ، وهو المنافِقُ ، فيسمَعُ[3] ما تقولُ فلا يعِيه ولا يفهمُه ؛ تهاونًا منه بما تتلو عليه من كتابِ ربِّك ، وتغافُلًا عما تقولُه وتدعو إليه من الإيمانِ ، حتى إذا خرَجوا مِن عندِك ، قالوا إعلامًا منهم لمن حضَر معهم مجلسَك مِن أهلِ العلمِ بكتابِ اللَّهِ ، وتلاوتِك عليهم ما تلَوتَ ، وقِيلِك لهم ما قلتَ أنهم لن يُصْغوا أسماعَهم لقولِك وتلاوتِك : ماذا قال لنا محمدٌ آنِفًا ؟

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

/ ذكرُ مَن قال ذلك ٥١/٢٦

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ ﴾ : هؤلاء المنافقون ، دخَل رجلان ؛ رجلٌ ممَّن عقَل عن اللَّهِ وانتفَع بما سمِع ، ورجلٌ لم يعقِلْ عن اللَّهِ فلم ينتفِعْ بما سمِع . كان يقالُ : الناسُ ثلاثةٌ ؛ فسامعٌ عاملٌ ، وسامعٌ عاقلٌ[4] ، وسامعٌ تاركٌ[5] .

---

(١) تقدم تخريجه فى ١٣/ ٦٢٠، ٦٢١.

(٢) فى ص : « يشفع » .

(٣) فى م ، ت ١ : « فيستمع » .

(٤) فى م ، ت ١ : « غافل » .

(٥) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/ ٤٩، ٥٠ إلى المصنف وعبد بن حميد .

حدَّثنا ابنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا ابنُ ثورٍ ، عن معمرٍ ، عن قتادةَ : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ﴾ . قال : هم المنافقون . وكان يقالُ : الناسُ ثلاثةٌ ؛ سامعٌ فعاملٌ ، وسامعٌ فعاقلٌ[(١)] ، وسامعٌ فتاركٌ[(٢)] .

حدَّثنا أبو كُريبٍ ، قال : ثنا يحيى بنُ آدمَ ، قال : ثنا شريكٌ ، عن عثمانَ أبى اليقظانِ ، عن يحيى بنِ الجزَّارِ ، أو سعيدِ بنِ جُبَيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِه : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنْ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ﴾ . قال ابنُ عباسٍ : أنا منهم ، وقد سُئلتُ فى من سُئل[(٣)] .

حدَّثنى [٢/٨٢٦ظ] يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنْ عِندِكَ ﴾ الآية . قال : هؤلاء المنافقون ، والذين أُوتُوا العلمَ الصحابةُ رضِى اللَّهُ عنهم[(٤)] .

وقولُه : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه : هؤلاء الذين هذه صفتُهم هم القومُ الذين ختَم اللَّهُ على قلوبِهم ، فهم لا يهتدون للحقِّ الذى بعَث اللَّهُ به رسولَه عليه الصلاةُ والسلامُ ، ﴿ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ . يقولُ : ورفَضوا أمرَ اللَّهِ ، واتَّبَعوا ما دعَتْهم إليه أنفسُهم ، فهم لا يرجِعون مما هم عليه إلى حقيقةٍ ولا بُرْهانٍ . وسوَّى جلَّ ثناؤُه بينَ صفةِ هؤلاء المنافقين وبينَ المشركين ، فى أن جميعَهم إنما يتَّبِعون فيما هم عليه من فراقِهم دينَ اللَّهِ الذى ابتعَث به محمدًا ﷺ - أهواءَهم ، فقال فى هؤلاء المنافقين : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓاْ

---

(١) فى م ، ت ١ : « فغافل » .

(٢) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ٢/٢٢٢ عن معمر به .

(٣) أخرجه الحاكم ٢/٤٥٧ من طريق يحيى بن آدم به ، ولم يذكر يحيى بن الجزار .

(٤) ذكره القرطبى فى تفسيره ١٦/٢٣٨ .

أَهْوَآءَهُمْ ﴾ . وقال فى أهلِ الكفرِ به من أهلِ الشركِ : ﴿ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : وأما الذين وفَّقهم اللَّهُ لاتِّباعِ الحقِّ ، وشرَح صدورَهم للإيمانِ به وبرسولِه ، من الذين استمَعوا إليك يا محمدُ ، فإن ما تلَوتَه عليهم وسمِعوه منك ، ﴿ زَادَهُمْ هُدًى ﴾ . يقولُ : زادهم اللَّهُ بذلك إيمانًا إلى إيمانِهم ، وبيانًا لحقيقةِ ما جئتَهم به من عندِ اللَّهِ إلى البيانِ الذى كان عندَهم . وقد ذُكِر أن الذى تلا عليهم رسولُ اللَّهِ ﷺ من القرآنِ ، فقال أهلُ النفاقِ منهم لأهلِ الإيمانِ : ﴿ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ﴾ . وزاد اللَّهُ أهلَ الهدى منهم هدًى - كان بعضَ ما أنزَل اللَّهُ من القرآنِ ، ينسَخُ بعضَ ما قد كان الحكمُ مضَى به قبلُ .

/ ذكرُ مَن قال ذلك ٥٢/٢٦

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴾ . قال : لمَّا أنزَل اللَّهُ القرآنَ آمَنوا به ، فكان هدًى ، فلمَّا تبيَّن[1] الناسخُ والمنسوخُ زادهم هدًى[2] .

وقولُه : ﴿ وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه : وأعطَى اللَّهُ هؤلاء المهتدين تقواهم ، وذلك استعمالُه إياهم تقواهم إياه .

---

(١) فى ت ٢، ت ٣: « بين » .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/٥٠ إلى المصنف وابن مردويه .

وقولُه : ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه : فهل ينظُرُ هؤلاء المكذِّبون بآياتِ اللَّهِ من أهلِ الكفرِ والنفاقِ ، إلا الساعةَ التى وعَد اللَّهُ خلقَه بعْثَهم فيها مِن قبورِهم أحياءً ، أن تجيئَهم فجأةً لا يشعُرون بمجيئِها . والمعنى : هل ينظُرون إلا الساعةَ ، هل ينظُرون إلا أن تأتيَهم بغتةً .

و « أنْ » من قولِه : « إلَّا أنْ » فى موضعِ نصبٍ بالردِّ على « الساعةِ » .

وعلى فتحِ الألفِ من ﴿ أَن تَأْتِيَهُم ﴾ . ونصْبِ ﴿ تَأْتِيَهُم ﴾ بها قرأةُ أهلِ الكوفةِ .

وقد **حُدِّثتُ** عن الفرَّاءِ ، قال : حدَّثنى أبو جعفرٍ الرُّؤاسىُّ ، قال : قلتُ لأبى عمرِو بنِ العلاءِ : ما هذه الفاءُ التى فى قولِه : ﴿ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ﴾ ؟ قال : جوابُ الجزاءِ . قال : قلتُ : إنها : (إنْ تأتيهم) ؟ قال : فقال : معاذَ اللَّهِ ، إنما هى : (إن تَأْتِهِمْ) . قال الفرَّاءُ : فظنَنتُ أنه أخَذها عن أهلِ مكةَ ؛ لأنه عليهم[(١)] قرأ . قال الفرَّاءُ : وهى أيضًا فى بعضِ مصاحفِ الكوفيِّين[(٢)] بسِينَةٍ[(٣)] واحدةٍ : (تَأْتِهِمْ) . ولم يقرأْ بها أحدٌ منهم[(٤)] .

وتأويلُ الكلامِ على قراءةِ مَن قرَأ ذلك بكسرِ ألفِ « إن » وجزمِ « تأتهم » : فهل ينظُرون إلا الساعةَ ؟ فيُجعلُ الخبرُ عن انتظارِ هؤلاء الكفارِ الساعةَ متناهيًا عندَ قولِه : ﴿ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ ﴾ . ثم يُبْتدأُ الكلامُ فيقالُ : إن تأتِهم الساعةُ بغتةً فقد جاء أشراطُها . فتكونُ الفاءُ من قولِه : ﴿ فَقَدْ جَآءَ ﴾ بجوابِ الجزاءِ .

وقولُه : ﴿ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ﴾ . يقولُ : فقد جاء هؤلاء الكافرين باللَّهِ الساعةُ

---

(١) سقط من : م .

(٢) ينظر المصاحف لابن أبى داود ص ص٤٠ ، ٤١ .

(٣) فى م ، ت١ : « بسنة » . وفى ت٢ : « نسبته » ، وفى ت٣ ، : « نسبة » . والمثبت موافق لما فى معانى القرآن .

(٤) معانى القرآن ٣/٦١ .

وأدلتُها ومقدِّماتُها . وواحدُ الأشراطِ شَرَطٌ ، كما قال جريرٌ[١] :

تَرَى شَرَط المِعْزَى مُهُورَ نسائِهم وفى شَرَطِ[٢] المِعْزَى لهن مُهورُ

ويُروى : ترى قَزَمَ المِعزَى . يقالُ منه : أشرَط فلانٌ نفسَه . إذا علَّمها بعلامةٍ ، كما قال أوسُ بنُ حُجرٍ[٣] :

فأشْرَط فيها نفسَه وهو مُعْصِمٌ وألْقَى بأسبابٍ له وتَوَكَّلا

٥٣/٢٦ / وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، [٢/٨٢٧و] قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ﴾ : يعنى : أشراطُ الساعةِ[٤] .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ﴾ : قد دنَتِ الساعةُ ، ودنا من اللَّهِ فراغٌ للعبادِ[٥] .

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ﴾ . قال : أشراطُها آياتُها .

وقولُه : ﴿ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه : فمن أىِّ وجهٍ لهؤلاء المكذِّبين بآياتِ اللَّهِ ذكرَى ما قد ضيَّعوا وفرَّطوا فيه من طاعةِ اللَّهِ إذا جاءَتهم الساعةُ . يقولُ : ليس ذلك بوقتٍ ينفعُهم التذكُّرُ[٦] والندمُ ؛ لأنه وقتُ مُجازاةٍ ، لا

---

(١) ديوانه ٢/ ٨٧٦، بالرواية التى سيذكرها المصنف بعد .

(٢) فى الديوان : « قزم » .

(٣) ديوانه ص ٨٧.

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/ ٥٠ إلى ابن المنذر ، بلفظ : « أول الساعات » .

(٥) فى ص ، م ، ت ١: « العباد » ، عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/ ٥٠ إلى المصنف وعبد بن حميد وابن مردويه .

(٦) فى ت ٢، ت ٣: « التذكير » .

وقتُ استعتابٍ ولا استعمالٍ .

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴾ . يقولُ : إذا جاءَتهم الساعةُ أنَّى لهم أن يتذكَّروا ويعرِفوا ويعقِلوا ؟

حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا ابنُ ثورٍ ، عن معمرٍ ، عن قتادةَ : ﴿ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴾ . قال : أنَّى لهم أن يتذكَّروا أو يتوبوا إذا جاءتهم الساعةُ[1] ؟

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴾ . قال : الساعةُ ، لا ينفعُهم عندَ الساعةِ ذكراهم .

و« الذِّكْرى » فى موضعِ رفعٍ بقولِه : ﴿ فَأَنَّىٰ لَهُمْ ﴾ . لأن تأويلَ الكلامِ : فأنَّى لهم ذكراهم إذا جاءتهم الساعةُ ؟

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه لنبيِّه محمدٍ ﷺ : فاعلَمْ يا محمدُ أنه لا معبودَ تنبغى أو تصلُحُ له الألوهةُ ، ويجوزُ لك وللخلقِ عبادتُه ، إلا اللَّهُ الذى هو خالقُ الخلقِ ، ومالكُ كلِّ شىءٍ ، يَدينُ له بالربوبيةِ كلُّ / ما دونَه ، ﴿ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾ . وسلْ ربَّكَ ٥٤/٢٦

(١) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ٢٢٢/٢ عن معمر به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦٢/٦ إلى عبد بن حميد .

غفرانَ سالفِ ذنوبِك وحادثِها ، وذنوبِ أهلِ الإيمانِ بك من الرجالِ والنساءِ ، ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴾ . يقولُ : فإن اللَّهَ يعلَمُ متصرَّفَكم فيما تتصرَّفون فيه فى يقظتِكم من الأعمالِ ، ومثواكم إذا ثَوَيتم فى مضاجعِكم للنومِ ليلًا ، لا يخفَى عليه شيءٌ من ذلك ، وهو مجازِيكم على جميعِ ذلك .

وقد **حدَّثنا** أبو كُرَيبٍ ، قال : ثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، قال : ثنا إبراهيمُ بنُ سليمانَ ، عن عاصمٍ الأحولِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ سَرْجِسَ ، قال : أكَلتُ[1] مع رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقلت : غفَر اللَّهُ لك يا رسولَ اللَّهِ[2] . فقال رجلٌ من القومِ : أستَغْفَر لك[3] رسولُ اللَّهِ ؟ قال : نعم ولك . ثم قرَأ : ﴿ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾[4] .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : ويقولُ الذين صدَّقوا اللَّهَ ورسولَه : هلَّا نُزِّلت سورةٌ من اللَّهِ[5] تأْمُرُنا بجهادِ أعداءِ اللَّهِ من الكفارِ ، ﴿ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ ﴾ . يعنى : أنها

---

(١) فى ص ، ت ١ ، ت ٣ : « دخلت » .

(٢) بعده فى مصادر التخريج : « قال : ولك » .

(٣) بعده فى النسخ والدر المنثور : « يا » . والمثبت من بقية مصادر التخريج .

(٤) أخرجه ابن أبى شيبة - كما فى الإتحاف بذيل المطالب (٥٤٠٠) - ، وأحمد ٨٢/٥ (الميمنية) ، ومسلم (٢٣٤٦) ، والترمذى فى الشمائل (٢٢) ، والنسائى فى الكبرى (١٠١٢٧ ، ١٠٢٥٤ ، ١٠٢٥٥ ، ١١٤٩٦) من طريق عاصم الأحول به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦٣/٦ إلى ابن المنذر وابن مردويه .

(٥) فى ت ١ : « القرآن » .

محكَمةٌ بالبيانِ والفرائضِ . وذُكِر أن ذلك فى قراءةِ عبدِ اللَّهِ : (فإذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْدَثَةٌ)[١] .

وقولُه : ﴿ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ﴾ . يقولُ : وذُكِر فيها الأمْرُ بقتالِ المشركين .

وكان قتادةُ يقولُ فى ذلك ما **حدَّثنى** بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ﴾[٢] . قال : كلُّ سورةٍ ذُكِر فيها الجهادُ فهى محكَمةٌ ، وهى أشدُّ القرآنِ على المنافقين[٣] .

حدَّثنا ابنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا ابنُ ثورٍ ، عن معمرٍ ، عن قتادةَ : ﴿ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ﴾ . قال : كلُّ سورةٍ ذُكِر فيها القتالُ فهى محكَمةٌ[٤] .

وقولُه : ﴿ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ [٢/٨٢٧ظ] فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ . يقولُ : رأيتَ الذين فى قلوبِهم شكٌّ فى دينِ اللَّهِ وضعفٌ ، ﴿ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ ﴾ يا محمدُ ﴿ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ﴾ ؛ خوفًا أن تُغْزِيَهم وتَأْمُرَهم بالجهادِ مع المسلمين ، فهم خوفًا من ذلك ، وتجبُّنًا[٥] عن لقاءِ العدوِّ ، يَنْظُرون إليك نظرَ المغشىِّ عليه الذى قد صُرِع .

وإنما عَنَى بقولِه : ﴿ مِنَ ٱلْمَوْتِ ﴾ : من خوفِ الموتِ . وكان هذا فعلَ أهلِ النفاقِ .

كالذى **حدَّثنى** يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ / نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ﴾ . قال : هؤلاء المنافقون طبَع ٥٥/٢٦

---

(١) وهى قراءة شاذة .

(٢) بعده فى ت ١ : « يقول وذكر فيها الأمر بقتال المشركين » .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦٣/٦ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٤) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ٢٢٣/٢ عن معمر به .

(٥) فى ص ، ت١ ، ت٣ : « تجنبا » .

اللَّهُ على قلوبِهم ، فلا يَفْقَهون ما يقولُ النبيُّ ﷺ .

وقولُه : ﴿ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه : فأولى لهؤلاء الذين فى قلوبِهم مرضٌ .

وقولُه : ﴿ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴾ . وعيدٌ توعَّد اللَّهُ به هؤلاء المنافقين .

كما **حدَّثنا** محمدُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا ابنُ ثورٍ ، عن معمرٍ ، عن قتادةَ : ﴿ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴾ . قال : هذه وعيدٌ ، فأولى لهم ، ثم انقطَع الكلامُ ، فقال : ﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ﴾ [1] .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴾ . قال : وعيدٌ كما تَسْمَعون .

وقولُه : ﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ﴾ . وهذا خبرٌ من اللَّهِ تعالى ذكرُه عن قيلِ هؤلاء المنافقين من قبلِ أن تَنْزِلَ سورةٌ محكمةٌ ويُذْكَرَ فيها القتالُ ، وأنهم إذا قيل لهم : إن اللَّهَ مفترِضٌ عليكم الجهادَ . قالوا : سمْعٌ وطاعةٌ . فقال اللهُ عزَّ وجلَّ لهم : فإذا أُنزِلت سورةٌ ، وفُرِض القتالُ فيها عليهم ، فشقَّ ذلك عليهم وكرِهوه - ﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ﴾ . قبلَ وجوبِ الفرضِ عليكم ، فإذا عزَم الأمرُ كرِهتموه وشقَّ عليكم .

وقولُه : ﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ﴾ . مرفوعٌ بمضمَرٍ ، وهو : قولُكم - قبلَ نزولِ فرضِ القتالِ - طاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ .

ورُوِى عن ابنِ عباسٍ بإسنادٍ غيرِ مُرْتَضًى [2] أنه قال : قال اللَّهُ تعالى : ﴿ فَأَوْلَىٰ

---

(١) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ٢/٢٢٣ عن معمر به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/٦٤ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٢) ذكره الطوسى فى التبيان ٩/ ٢٩٨، والقرطبى فى تفسيره ١٦/ ٢٤٤.

لَهُمْ ﴾ . ثم قال للذين آمنوا منهم : ﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ﴾ .

فعلى هذا القولِ تمامُ الوعيدِ ﴿ فَأَوْلَىٰ ﴾ ، ثم يَسْتأْنِفُ بعدُ ، فيُقالُ : ﴿ لَهُمْ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ﴾ . فتكونُ « الطاعةُ » مرفوعةً بقولِه ﴿ لَهُمْ ﴾ .

وكان مجاهدٌ يقولُ فى ذلك كما **حدَّثنى** محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، **وحدَّثنى** الحارثُ ، قال : ثنا الحسنُ ، قال : ثنا ورقاءُ ، جميعًا عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ﴾ . قال : أمَر اللَّهُ بذلك المنافقين[1] .

وقولُه : ﴿ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ ﴾ . يقولُ : فإذا وجَب القتالُ وجاء أمرُ اللَّهِ بفرضِ ذلك كرِهتموه .

وبنحوِ الذى قلْنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، **وحدَّثنى** الحارثُ ، قال : ثنا الحسنُ ، قال : ثنا ورقاءُ ، جميعًا عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ ﴾ . قال : إذا جاء[2] الأمرُ . هكذا قال محمدُ بنُ عمرٍو فى حديثِه عن أبى عاصمٍ . وقال الحارثُ فى حديثِه عن الحسنِ : يقولُ : جدَّ الأمرُ[3] .

وقولُه : ﴿ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه : فلو صدَقوا اللَّهَ ما وعَدوه ، قبلَ نزولِ السورةِ ، بالقتالِ ، بقولِهم ، إذ قيل لهم : إن اللَّهَ سيأْمُرُكم

---

(١) تفسير مجاهد ص ٦٠٥، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/٦٤ إلى الفريابى وعبد بن حميد .

(٢) فى ص ، م ، ت ١، ت ٣: « جد » .

(٣) تفسير مجاهد ص ٦٠٥ ومن طريقه الفريابى - كما فى التغليق ٤/٣١٢ ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/٦٤ إلى عبد بن حميد .

بالقتالِ . طاعةٌ ، فَوَفَّوا له بذلك - لكان خيرًا لهم فى عاجلِ دنياهم وآجلِ معادِهم .

/ كما **حدَّثنا** بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ فَإِذَا عَزَمَ ٥٦/٢٦
ٱلْأَمْرُ ﴾ . يقولُ : طواعيةُ اللَّهِ ورسولِه وقولٌ معروفٌ عندَ حقائقِ الأمورِ ، خيرٌ لهم .

حدَّثنا ابنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا ابنُ ثورٍ ، عن معمرٍ ، عن قتادةَ : يقولُ : طاعةُ اللَّهِ وقولٌ بالمعروفِ عندَ حقائقِ الأمورِ ، خيرٌ لهم[(١)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه لهؤلاء الذين وصَف أنهم إذا أُنزِلت سورةٌ محكَمةٌ وذُكِر فيها القتالُ نظَروا إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ نظرَ المغشىِّ عليه : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ ﴾ أيُّها القومُ . يقولُ : فلعلَّكم إن تولَّيتُم عن تنزيلِ اللَّهِ جلَّ ثناؤه ، وفارَقتُم أحكامَ كتابِه ، وأدبَرتم عن محمدٍ ﷺ وعما جاءكم به ، ﴿ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ . يقولُ : أن تَعْصُوا اللَّهَ فى الأرضِ فتَكْفُروا به وتَسْفِكوا فيها الدماءَ ، ﴿ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴾ ، وتَعودوا لما كنتُم عليه فى جاهليتِكم من التشتُّتِ والتفرُّقِ ، بعدَما قد جمَعكم اللَّهُ بالإسلامِ وألَّف به بينَ قلوبِكم .

وبنحوِ الذى قلْنا فى ذلك قال [(٢)]جماعةٌ مِن[(٢)] أهلِ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ ﴾ الآية . يقولُ : فهل عسَيْتُم كيفَ رأَيتم القومَ حينَ تولَّوا عن كتابِ اللَّهِ ،

---

(١) تتمة الأثر المتقدم تخريجه فى ص ٢١١ .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت ٣.

ألم يَسْفِكوا الدمَ الحرامَ ، وقطَّعوا [٢/٨٢٨و] الأرحامَ ، وعَصَوا الرحمنَ ؟[١]

حدَّثنا ابنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا ابنُ ثورٍ ، عن معمرٍ ، عن قتادةَ : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴾ . [٢]قال : فعَلوا[٢] .

حدَّثنى محمدُ بنُ عبدِ الرحيمِ البرقىُّ ، قال : ثنا ابنُ أبى مريمَ ، قال : أخبَرنا محمدُ بنُ جعفرٍ وسليمانُ[٣] بنُ بلالٍ ، قالا : ثنا معاويةُ بنُ أبى المُزَرِّدِ المدينىُّ ، عن سعيدِ بنِ يسارٍ ، عن أبى هريرةَ ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ أنه قال : « خلَق اللَّهُ الخلقَ ، فلمَّا فرَغ منهم تعلَّقت الرحمُ بحَقْوِ الرحمنِ ، فقال : مَهْ . فقالت : هذا مُقامُ العائذِ بك مِن القطيعةِ . قال : فما تَرْضَيْنَ أن أَقْطَعَ مَن قطَعكِ ، وأَصِلَ مَن وصَلكِ ؟ قالت : نعمْ . قال : فذلك لك »[٤] .

قال سليمانُ فى حديثِه : قال أبو هريرةَ : اقرَءُوا إن شِئتم : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴾ .

وقد تأوَّله بعضُهم : فهل عسَيتم إن تولَّيتم أمورَ الناسِ أن تُفْسِدوا فى الأرضِ ؟ بمعنى الولايةِ .

وأجمَعت القرأةُ غيرَ نافعٍ على فتحِ السينِ من : ﴿ عَسَيْتُمْ ﴾ . وكان نافعٌ يَكْسِرُها : (عَسِيتم)[٥] .

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/٦٤ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٢ - ٢) سقط من : ت ٢، ت ٣.

والأثر أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ٢/٢٢٤ عن معمر به .

(٣) فى ت ٢، ت ٣: « سليم » .

(٤) أخرجه البخارى (٤٨٣٠) ، وفى الأدب المفرد (٥٠) ، والبغوى فى السنة (٣٤٣١) من طريق سليمان بن بلال به ، وأخرجه أحمد ١٤/١٠٣ (٨٣٦٧) ، ومسلم (٢٥٥٤) ، والنسائى فى الكبرى (١١٤٩٧) ، وابن حبان (٤٤١) ، والحاكم ٤/ ١٦٢، والبيهقى ٧/ ٢٦، وفى الشعب (٧٩٣٤) من طريق معاوية به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/٦٤ إلى عبد بن حميد والحكيم الترمذى وابن مردويه .

(٥) النشر ٢/١٧٣ ، والقراءتان متواترتان .

/ **والصوابُ عندَنا** قراءةُ ذلك بفتحِ السينِ ؛ لإجماعِ الحجةِ من القرأةِ عليها ، ٥٧/٢٦
وأنه لم يُسْمَعْ فى الكلامِ : عَسِىَ أخوك يَقُومُ . بكسرِ السينِ وفتحِ الياءِ ، ولو كان صوابًا كسرُها إذا اتَّصل بها مكنىٌّ ، جاءت بالكسرِ مع غيرِ المكنىِّ ، وفى إجماعِهم على فتحِها مع الاسمِ الظاهرِ ، الدليلُ الواضحُ على أنها كذلك مع المكنِىِّ .

و﴿ إِنَّ ﴾ التى تلى ﴿ عَسَيْتُمْ ﴾ مكسورةٌ ، وهى حرفُ جزاءٍ ، و﴿ أَن ﴾ التى مع ﴿ تُفْسِدُوا۟ ﴾ فى موضعِ[1] نصبٍ بـ ﴿ عَسَيْتُمْ ﴾ .

وقولُه : ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه : هؤلاء الذين يَفْعَلون[2] هذا ، يَعْنى الذين يُفْسِدون ويَقْطَعون الأرحامَ ، الذين لعَنهم اللَّهُ فأبعَدهم من رحمتِه ، ﴿ فَأَصَمَّهُمْ ﴾ . يقولُ : فسلَبهم فهْمَ ما يَسْمَعون بآذانِهم من مواعظِ اللَّهِ فى تنزيلِه ، ﴿ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴾ . يقولُ : وسلَبهم عقولَهم ، فلا يَتَبيَّنون[3] حُججَ اللَّهِ ، ولا يَتَذَكَّرون ما يَرَون من عِبَرِه وأدلتِه .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : أفلا يَتَدَبَّرُ هؤلاء المنافقون مواعظَ اللَّهِ التى يَعِظُهم بها فى آىِ القرآنِ الذى أنزَله على نبيِّه عليه الصلاةُ والسلامُ ، ويَتَفَكَّرون فى حججِه التى بيَّنها لهم فى تنزيلِه ، فيَعْلَموا بها خطأَ ما هم عليه مُقيمون ؟ ﴿ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ . يقولُ : أم أَقْفَلَ اللَّهُ على قلوبِهم ، فلا يَعْقِلون ما أنزَل اللَّهُ فى كتابِه من المواعظِ والعِبرِ .

---

(١) فى ت ٣ : « الأرض » .
(٢) فى ت ٣ : « يعقلون » .
(٣) فى ت ٣ : « يثبتون » .

وبنحوِ الذى قلْنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ . إذنْ واللَّهِ يَجِدُون فى القرآنِ زاجرًا عن معصيةِ اللَّهِ ، لو تدبَّره القومُ فعقَلوه ، ولكنهم أخَذوا بالمتشابهِ فهلَكوا عندَ ذلك[1] .

حدَّثنا إسماعيلُ بنُ حفصٍ الأَيليُّ ، قال : ثنا الوليدُ بنُ مسلمٍ ، عن ثورِ بنِ يزيدَ ، عن خالدِ بنِ مَعدانَ ، قال : ما من آدميٍّ إلا وله أربعُ أعينٍ ؛ عينان فى رأسِه لدنياه وما يُصْلِحُه من معيشتِه ، وعينان فى قلبِه لدينِه وما وعَد اللَّهُ من الغيبِ ، فإذا أراد اللَّهُ بعبدٍ خيرًا أبصَرت عيناه اللتان فى قلبِه ، وإذا أراد اللَّهُ به غيرَ ذلك طمَس عليهما ، فذلك قولُه : ﴿ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾[2] .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا يحيى بنُ واضحٍ ، قال : ثنا ثورُ بنُ يزيدَ ، قال : ثنا خالدُ بنُ معدانَ ، قال : ما من الناسِ أحدٌ إلا وله أربعُ أعينٍ ؛ عينان فى وجهِه لمعيشتِه ، وعينان فى قلبِه . وما من أحدٍ إلا وله شيطانٌ متبطِّنٌ فَقَارَ ظهرِه ، عاطفٌ عنقَه على عنقِه ، فاغرٌ فاه إلى ثمرةِ قلبِه ، فإذا أراد اللَّهُ بعبدٍ خيرًا أبصَرت عيناه اللتان فى قلبِه ما وعَد اللَّهُ من الغيبِ فعمِل به ، وهما غيبٌ ، فعمِل بالغيبِ ، وإذا أراد اللَّهُ بعبدٍ شرًّا ترَكه . ثم قرَأ : ﴿ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾[2] .

٥٨/٢٦ /**حدَّثنا** ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا الحكمُ ، قال : ثنا عمرٌو ، عن ثورٍ ، عن خالدِ بنِ مَعْدَانَ بنحوِه ، إلا أنه قال : ترَك القلبَ على ما فيه .

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦٦/٦ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦٦/٦ إلى المصنف وابن المنذر .

حدَّثنا بشرٌ[(١)] ، قال : ثنا حمادُ بنُ زيدٍ ، قال : ثنا هشامُ بنُ عروةَ ، عن أبيه ، قال : تلا رسولُ اللَّهِ ﷺ يومًا : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ . فقال شابٌّ من أهلِ اليمنِ : بل عليها أقفالُها ، حتى يكونَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ يَفْتَحُها أو يُفَرِّجُها . فمازال الشابُّ فى نفسِ عمرَ رضى اللَّهُ عنه حتى ولِى فاستعان به[(٢)] .

وقولُه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ﴾ . يقولُ اللَّهُ عزَّ وجلَّ : إن الذين رجَعوا القَهْقَرَى على أعقابِهم كفارًا باللَّهِ من بعدِ ما تَبَيَّن لهم الحقُّ وقصْدُ السبيلِ ، فعرَفوا واضحَ الحجةِ ، ثم آثَروا الضلالَ على الهدَى ، عنادًا لأمرِ اللَّهِ تعالى ذكرُه من [٢/ ٨٢٨ظ] بعدِ العلمِ .

كما **حدَّثنا** بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ﴾ : هم أعداءُ اللَّهِ أهلُ الكتابِ ، يَعْرِفون [(٣)] نعتَ النبىِّ [(٣)] ﷺ وأصحابِه عندَهم ، ثم يَكْفُرون به[(٤)] .

حدَّثنا ابنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا ابنُ ثورٍ ، عن معمرٍ ، عن قتادةَ : ﴿ مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ﴾ : إنهم يَجِدونه مكتوبًا عندَهم[(٥)] .

وقال آخرون : عُنِى بذلك أهلُ النفاقِ .

---

(١) بعده فى ص ، م : « قال : ثنا يزيد ، قال ثنا سعيد » ، وبعده فى ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « قال ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، قال : ثنا قتادة » . وهذه الزيادة أثبتها محققو تفسير ابن كثير بين معكوفين من تفسير الطبرى . والمثبت كما فى تفسير البغوى ، وينظر تهذيب الكمال ٧/ ٢٣٩.

(٢) أخرجه البغوى فى تفسيره ٢٨٧/٧ من طريق المصنف به . وذكره ابن كثير فى تفسيره ٣٠٣/٧ عن المصنف به . وأخرجه إسحاق بن راهويه - كما فى المطالب العالية (٤١٠٥) من طريق هشام به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦٦/٦ إلى ابن المنذر وابن مردويه .

(٣ - ٣) فى ص ، ت ١ : « بعث نبى الله محمد » ، وفى م : « بعث محمد نبى الله » .

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦٦/٦ إلى المصنف وعبد بن حميد وابن المنذر .

(٥) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ٢/ ٢٢٤، وفى مصنفه (١٠٢١٢) عن معمر به .

ذكرُ مَن قال ذلك

حُدِّثتُ عن الحسينِ ، قال : سمِعتُ أبا معاذٍ يقولُ : أخبَرنا عبيدٌ ، قال : سمِعتُ الضحاكَ يقولُ فى قولِه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِم ﴾ إلى قولِه : ﴿ فَأَحْبَطَ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴾ : هم أهلُ النفاقِ[1] .

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِم ﴾ إلى : ﴿ إِسْرَارَهُۥ ﴾ : هم أهلُ النفاقِ[2] .

وهذه الصفةُ بصفةِ[3] أهلِ النفاقِ عندَنا ، أشبهُ منها بصفةِ أهلِ الكتابِ ، وذلك أن اللَّهَ جلَّ ثناؤه أخبَر أن ردَّتَهم كانت بقيلِهم للذين كرِهوا ما نزَّل اللَّهُ : ﴿ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ﴾ . ولو كانت من صفةِ أهلِ الكتابِ لكان فى وصفِهم بالتكذيبِ[4] محمدٍ ﷺ الكفايةُ من الخبرِ عنهم بأنهم إنما ارتدُّوا من أجلِ قيلِهم ما قالوا .

وقولُه : ﴿ ٱلشَّيْطَـٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه : الشيطانُ زيَّن لهم ارتدادَهم على أدبارِهم من بعدِ ما تَبيَّن لهم الهدَى .

وبنحوِ الذى قلْنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا ابنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا ابنُ ثورٍ ، عن معمرٍ ، عن قتادةَ : ﴿ ٱلشَّيْطَـٰنُ

---

(١) ذكره البغوى فى تفسيره ٧/ ٢٨٨، والقرطبى فى تفسيره ١٦/ ٢٤٩.

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/٦٦ إلى المصنف .

(٣) فى ت ٢، ت ٣: « صفة » .

(٤) فى م : « بتكذيب » .

سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾ . يقولُ : زيَّن لهم[١] .

/ **حدَّثنا** بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ سَوَّلَ لَهُمْ ﴾ . ٥٩/٢٦
يقولُ : زيَّن لهم .

وقولُه : ﴿ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾ . يقولُ : ومدَّ اللَّهُ لهم فى آجالِهم مُلاوةً[٢] من الدهرِ . ومعنى الكلامِ : الشيطانُ سوَّل لهم ، واللَّهُ أَمْلَى لهم .

واختلَفت القرأةُ فى قراءةِ ذلك ؛ فقرَأته عامةُ قرأةِ الحجازِ والكوفةِ : ﴿ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾ بفتحِ الألفِ منها[٣] ، بمعنى : وأَمْلَى اللَّهُ لهم . وقرَأ ذلك بعضُ أهلِ المدينةِ والبصرةِ : (وأُمليَ لهم) على وجهِ ما لم يُسَمَّ فاعلُه[٤] . وقرَأ مجاهدٌ فيما ذُكِر عنه : (وأُمْلِى) . بضمِّ الألفِ وإرسالِ الياءِ[٥] ، على وجهِ الخبرِ من اللَّهِ جلَّ ثناؤُه عن نفسِه أنه يَفْعَلُ ذلك بهم .

وأولى هذه القراءاتِ[٦] **بالصوابِ** التى عليها عامةُ قرأةِ الحجازِ والكوفةِ ، من فتحِ الألفِ فى ذلك ؛ لأنها القراءةُ المستفيضةُ فى قرأةِ الأمصارِ ، وإن كان يَجْمَعُها مَذْهَبٌ تتقارَبُ معانيها فيه .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ ﴾ .

---

(١) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ٢/٢٢٤ عن معمر به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/٦٦ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٢) الملاوة والمُلاوة والمَلاوة والمَلا والمَلِى كله : مدة العيش . اللسان (م ل و) .

(٣) وهى قراءة نافع وابن كثير وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائى وأبى جعفر وخلف . النشر ٢/ ٢٨٠ .

(٤) وهى قراءة أبى عمرو . المصدر السابق .

(٥) هى قراءة يعقوب ، وهو من العشرة . المصدر السابق .

(٦) فى ص ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « القراءة » ، والقراءات المذكورة كلها صواب .

يقولُ تعالى ذكرُه : أَمْلَى اللَّهُ لهؤلاء المنافقين وتَرَكهم ، والشيطانُ سوَّل لهم ، فلم يُوفِّقْهم للهدَى من أجلِ أنهم قالوا للذين كرِهوا ما نزَّل اللَّهُ مِن الأمرِ بقتالِ أهلِ الشركِ به من المنافقين : سنُطِيعُكم فى بعضِ الأمرِ الذى هو خلافٌ لأمرِ اللَّهِ تبارَك وتعالى وأمرِ رسولِه ﷺ .

كما **حدَّثنا** بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ ﴾ : فهؤلاء المنافقون[1] .

﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه : واللَّهُ يعلَمُ إسرارَ هذين الحزبَين المتظاهِرَين من أهلِ النفاقِ على خلافِ أمرِ اللَّهِ وأمرِ رسولِه ، إذ يَتَسَارُّون فيما بينَهم بالكفرِ باللَّهِ ومعصيةِ الرسولِ ، ولا يَخْفَى عليه ذلك ولا غيرُه من الأمورِ كلِّها .

واختلَفتِ القرَأةُ فى قراءةِ ذلك ؛ فقرَأته عامةُ قرَأةِ المدينةِ والبصرةِ : (أَسْرَارَهُمْ) بفتحِ الألفِ من : (أشرارَهم)[2] على وجهِ جماعِ « سرٍّ » . وقرَأ ذلك عامةُ قرَأةِ الكوفةِ : ﴿ إِسْرَارَهُمْ ﴾ بكسرِ الألفِ[3] ، على أنه مصدرٌ من : أَسرَرتُ إسرارًا .

والصوابُ مِن القولِ فى ذلك عندَنا أنهما قراءتان مَعروفتان صحيحتا المعنى ، فبأيتِهما قرَأ القارئُ فمصيبٌ .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ

---

(١) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ٢/٢٢٤ عن معمر ، عن قتادة ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/٦٦ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٢) وهى قراءة عاصم فى رواية حفص وحمزة والكسائى . التيسير ص ١٦٣ .

(٣) وهى قراءة ابن كثير ونافع وأبى عمرو وابن عامر وعاصم فى رواية أبى بكر . المصدر السابق .

فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾ ﴾ .

/ [1] يقولُ تعالى ذكرُه : واللَّهُ يَعْلَمُ إسرارَ هؤلاء المنافقين ؛ فكيفَ لا يَعْلَمُ حالَهم ٦٠/٢٦
إذا توفَّتهم الملائكةُ وهم يَضْرِبون وجوهَهم وأدبارَهم ؟ يقولُ : فحالُهم أيضًا لا يَخْفَى عليه فى ذلك الوقتِ . ويَعْنى بالأدبارِ الأعجازَ ، وقد ذكَرْنا الروايةَ فى ذلك فيما مضَى قبلُ [2] .

وقولُه : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه : تَفْعَلُ الملائكةُ هذا الذى وصَفتُ بهؤلاء المنافقين ؛ من أجلِ أنهم اتَّبعوا ما أسخَط اللَّهَ فأغضَبه عليهم من طاعةِ الشيطانِ ، ﴿ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ ﴾ . يقولُ : وكرِهوا ما يُرْضِيه عنهم من قتالِ الكفارِ به بعدَ ما افترَضه عليهم .

وقولُه : ﴿ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ . يقولُ : فأبطَل اللَّهُ ثوابَ أعمالِهم وأذهَبه ؛ لأنها عُمِلت فى غيرِ رِضاه ولا محبتِه ، فبطَلت ولم تَنْفَعْ عاملَها .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾ ﴾ [1] .

[٨٢٩/٢و] يقولُ تعالى ذكرُه : أحسِب هؤلاء المنافقون الذين فى قلوبِهم شكٌّ فى دينِهم وضعفٌ فى يقينِهم ، فهم حيارَى فى معرفةِ الحقِّ - أن لن [3] يُخْرِجَ اللَّهُ ما فى قلوبِهم من الأضغانِ على المؤمنين فيُبْدِيَه لهم ويُظْهِرَه ، حتى يَعْرِفوا نِفاقَهم وحَيرتَهم فى دينِهم ، ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه : ولو نشاءُ

(١ - ١) سقط من : ت ١.

(٢) ينظر ما تقدم فى ١١/٢٢٩ - ٢٣١.

(٣) سقط من : ص ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

يا محمدُ لعرَّفناك هؤلاء المنافقين حتى تَعْرِفَهم . من قولِ القائلِ : سأُريك ما أصنَعُ . بمعنى : سأُعْلِمُك .

وقولُه : ﴿ فَلَعَرَفْنَٰهُم بِسِيمَٰهُمْ ﴾ . يقولُ : فلتَعْرِفَنَّهم بعلاماتِ النفاقِ الظاهرةِ منهم فى فحوَى كلامِهم وظاهِرِ أفعالِهم . ثم إن اللَّهَ تعالى ذكرُه عرَّفه إياهم .

وبنحوِ الذى قلْنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴾ إلى آخرِ الآيةِ . قال : هم أهلُ النفاقِ ، وقد عرَّفه إياهم فى « براءة » فقال : ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ﴾ [التوبة : ٨٤] . وقال : ﴿فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴾ [التوبة : ٨٣] . ﴿ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ﴾ [التوبة : ٨٣] .(١)

حُدِّثت عن الحسينِ ، قال : سمِعتُ أبا معاذٍ يقولُ : أخبَرنا عبيدٌ ، قال : سمِعتُ الضحاكَ يقولُ فى قولِه : ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ الآية : هم أهلُ النفاقِ ، ﴿ فَلَعَرَفْنَٰهُم بِسِيمَٰهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ﴾ . فعرَّفه اللَّهُ إياهم فى سورةِ « براءة » ، فقال : ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا ﴾ . وقال : قل لهم : لن تَنفِروا معى أبدًا ولن تقاتلوا معى عدوًّا .

/ **حدَّثنى** يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ أَمْ ٦١/٢٦

(١) ذكره القرطبى فى تفسيره ١٦/ ٢٥٢.

حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ﴾ . قال : هؤلاء المنافقون . قال : والذى أسرُّوا من النفاقِ هو الكفرُ .

قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ﴾ . قال : هؤلاء المنافقون . قال : وقد أراه اللَّهُ إياهم ، وأمَر بهم أن يَخرُجوا من المسجدِ . قال : فأبَوا إلا أن تَمَسَّكوا بلا إلهَ إلا اللَّهُ ، فلما أبَوا إلا أن تَمَسَّكوا بلا إلهَ إلا اللَّهُ ، حُقِنت دماؤُهم ، ونكَحوا ونُوكِحوا بها[1] .

وقولُه : ﴿ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ﴾ . يقولُ : ولتَعْرِفَنَّ هؤلاء المنافقين فى معنى قولِهم نحوَه .

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ﴾ . قال : قولِهم .

﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾ : لا يَخْفَى عليه العاملُ منكم بطاعتِه ، والمخالفُ ذلك ، وهو مُجازِى جميعِكم عليها .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٣٢﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه لأهلِ الإيمانِ به من أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ : ولنَبْلُوَنَّكم أيُّها المؤمنون بالقتلِ وجهادِ أعداءِ اللَّهِ ، ﴿ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ ﴾ . يقولُ : حتى يَعْلَمَ حزبِى وأولبائى أهلَ الجهادِ فى اللَّهِ منكم ، وأهلَ الصبرِ على قتالِ أعدائِه ، فيَظْهَرَ ذلك لهم ، ويُعْرَفَ ذوو البصائرِ منكم فى دينِه من ذوى الشكِّ والحَيرةِ فيه ،

---

(١) ذكره القرطبى فى تفسيره ١٦/ ٢٥٢.

وأهلُ الإيمانِ من أهلِ النفاقِ ، ﴿ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴾ فنَعْرِفَ الصادقَ منكم من الكاذبِ .

وبنحوِ الذى قلْنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى علىٌّ ، قال : ثنا أبو صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ ، عن علىٍّ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ . وقولَه : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ ﴾ [البقرة : ١٥٥] . ونحوَ هذا ، قال : أخبرَ اللَّهُ سبحانه المؤمنين أن الدنيا دارُ بلاءٍ ، وأنه مُبْتَلِيهم فيها ، وأمَرهم بالصبرِ وبشَّرهم ، فقال : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ . ثم أخبَرهم أنه هكذا فعَل بأنبيائِه وصفوتِه ؛ لتَطِيبَ أنفسُهم ، فقال : ﴿ مَسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ ﴾ [البقرة : ٢١٤] . فالبأساءُ الفقرُ ، والضراءُ السَّقَمُ ، وزُلزلوا بالفتنِ وأذَى الناسِ إيَّاهم[1] .

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه عزّ وجلّ : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ / ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ . قال : نَخْتَبِرُكم . البلوى الاختبارُ . [٢/٨٢٩ظ] وقرأ : ﴿ الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ [العنكبوت : ١، ٢] . قال : لا يُختبرون ، ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ الآية [العنكبوت : ٣] . ٦٢/٢٦

واختلَفت القرأةُ فى قراءةِ قولِه : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴾ ؛ فقرَأ ذلك عامةُ قرأةِ الأمصارِ بالنونِ « ونَبْلُو »

---

(١) أخرجه البيهقى فى الشعب (٩٦٨٧) من طريق أبى صالح به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ١٥٦، ٢٤٣ إلى ابن المنذر . وقد تقدم تخريجه عند ابن أبى حاتم فى ٢/ ٧٠٤ .

و ﴿ نَعْلَمَ ﴾ ، و ﴿وَنَبْلُوَا﴾ على وجهِ الخبرِ من اللهِ جلَّ جلالُه عن نفسِه ، سوى عاصمٍ ؛ فإنه قرَأ جميعَ ذلك بالياءِ[1] . والنونُ هى القراءةُ عندَنا ؛ لإجماعِ الحجةِ من القرَأةِ عليها ، وإن كان للأخرى وجهٌ صحيحٌ .

وقولُه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه : إن الذين جحَدوا توحيدَ اللَّهِ ، وصدُّوا الناسَ عن دينِه الذى ابتَعث به رسلَه ، ﴿ وَشَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ ﴾ . يقولُ : وخالَفوا رسولَه محمدًا ﷺ ، فحارَبوه وآذَوه من بعدِ ما علِموا أنه نبىٌّ مبعوثٌ ، ورسولٌ مرسَلٌ ، وعرَفوا الطريقَ الواضحَ بمعرفتِه ، وأنه للَّهِ رسولٌ .

وقولُه : ﴿ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ﴾ . لأن اللَّهَ بالغُ أمرِه ، وناصرُ رسولِه ومُظهِرُه على مَن عاداه وخالَفه ، ﴿ وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ . يقولُ : وسيُذْهِبُ أعمالَهم التى عمِلوها فى الدنيا فلا يَنْفَعُهم بها فى الدنيا و[2] الآخرةِ ، ويُبْطِلُها إلا مما يَضُرُّهم .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : يأيُّها الذين آمنوا باللَّهِ ورسولِه ، أطِيعُوا اللهَ وأطِيعوا الرسولَ فى أمرِهما ونهيِهما ، ﴿ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾ . يقولُ : ولا تُبْطِلوا بمعصيتِكم إياهما وكفرِكم بربِّكم ثوابَ أعمالِكم ؛ فإن الكفرَ باللَّهِ يُحْبِطُ السالفَ من العملِ الصالحِ .

وبنحوِ الذى قلْنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

---

(١) فى رواية أبى بكر عنه . النشر ٢/٢٨٠ .

(٢) بعده فى م : « لا » .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾ الآية : من استطاعَ منكم ألَّا يُبْطِلَ عملًا صالحًا عمِله بعملٍ سيِّئٍ فَلْيَفْعَلْ ، ولا قوّةَ إلا باللَّهِ ، فإن الخيرَ يَنْسَخُ الشرَّ ، وإن الشرَّ يَنْسَخُ الخيرَ ، وإن مِلاكَ الأعمالِ خواتيمُها[1] .

وقولُه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه : / إن الذين أنكَروا توحيدَ اللَّهِ ، وصدُّوا مَن أراد الإيمانَ باللَّهِ وبرسولِه عن ٦٣/٢٦
ذلك ، ففتَنوهم عنه ، وحالوا بينَهم وبينَ ما أرادوا من ذلك ، ﴿ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ ﴾ . يقولُ : ثم ماتوا وهم على ذلك من كفرِهم ، ﴿ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴾ . يقولُ : فلن يَعْفُوَ اللَّهُ عما صنَع من ذلك ، ولكنه يُعاقِبُه عليه ، ويَفْضَحُه به على رءوسِ الأشهادِ .

القولُ في تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ فَلَا تَهِنُواْ وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : فلا تَضْعُفوا أيُّها المؤمنون باللَّهِ عن جهادِ المشرِكين وتَجْبُنوا عن قتالِهم .

كما **حدَّثني** محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، **وحدَّثني** الحارثُ ، قال : ثنا الحسنُ ، قال : ثنا ورقاءُ ، جميعًا عن ابنِ أبي نجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ فَلَا تَهِنُواْ ﴾ . قال : لا تَضْعُفوا[2] .

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/٦٧ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٢) تفسير مجاهد ص ٦٠٥ ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/ ٧٩ ، ٦/٦٧ إلى عبد بن حميد وابن المنذر ، وتقدم تخريجه فى ٦/ ٧٧ .

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ فَلَا تَهِنُوا ﴾ : لا تَضْعُفْ أنتَ[1] .

وقولُه : ﴿ وَتَدْعُوٓا إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ ﴾ . يقولُ : لا تَضْعُفوا عنهم وتَدْعوهم إلى الصلحِ والمسالمةِ ، وأنتم القاهرون لهم والعالون عليهم ، ﴿ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ ﴾ . يقولُ : واللَّهُ معكم بالنصرِ لكم عليهم .

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ ، غيرَ أنهم **اختلَفوا** فى معنى قولِه : ﴿ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ ﴾ ؛ **فقال بعضُهم** : معناه : وأنتم أولى باللَّهِ منهم . **وقال بعضُهم** مثلَ الذى قلْنا فيه .

ذكرُ مَن قال ذلك

وقال : معنى قولِه : ﴿ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ ﴾ : أنتم أولى باللَّهِ منهم

حدَّثنى أحمدُ بنُ المقدامِ ، قال : ثنا المعتمرُ ، قال : سمِعتُ أبى يُحَدِّثُ عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوٓا إِلَى ٱلسَّلْمِ ﴾ . قال : أى : لا تكونوا أُولى الطائفتين تُصْرَعُ .

[٢/٨٣٠و] **حدَّثنا** بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوٓا إِلَى ٱلسَّلْمِ ﴾ . قال : لا تكونوا أُولى الطائفتين صُرِعت لصاحبتِها ودعَتها إلى الموادعةِ ، وأنتم أَولى باللَّهِ منهم ، واللَّهُ معكم .

حدَّثنا ابنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا ابنُ ثورٍ ، عن معمرٍ ، عن قتادةَ : ﴿ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوٓا إِلَى ٱلسَّلْمِ ﴾ . قال : لا تكونوا أُولى الطائفتين صُرِعت إلى صاحبتِها ،

---

(١) ذكره الطوسى فى التبيان ٩/ ٣٠٦.

﴿ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ ﴾ . قال : يقولُ : وأنتم أَولى باللَّهِ منهم[١] .

ذكرُ مَن قال : معنى قولِه : ﴿ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ ﴾ : أنتم الغالبون الأعزُّ منهم

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، **وحدَّثنى** الحارثُ ، قال : ثنا الحسنُ ، قال : ثنا ورقاءُ ، جميعًا عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ قولَه : ﴿ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ ﴾ . قال : الغالبون ، مثلَ يومِ أحدٍ تكونُ عليهم الدائرةُ[٢] .

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ ﴾ . قال : هذا منسوخٌ . قال : نسَخه القتالُ والجهادُ . يقولُ : لا تَضْعُفْ أنت وتَدْعوَهم أنت إلى السلمِ وأنت الأعلى . قال : وهذا حينَ كانت العهودُ والهدنةُ فيما بينَه وبينَ المشركين قبلَ / أن يكونَ القتالُ ، يقولُ : لا تَهِنْ فتَضْعُفَ ٦٤/٢٦
فيَرى أنك تَدْعوه إلى السلمِ ، وأنت فوقَه وأعزُّ منه ، ﴿ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ ﴾ : أنتم أعزُّ منهم ، ثم جاء القتالُ بعدُ فنسَخ هذا أجمَعَ ، فأمَره بجهادِهم والغلظةِ عليهم .

وقد قيل : عُنِى بقولِه : ﴿ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ ﴾ : وأنتم الغالبون آخرَ الأمرِ ، وإن غلَبوكم فى بعضِ الأوقاتِ ، وقهَروكم فى بعضِ الحروبِ .

وقولُه : ﴿ فَلَا تَهِنُوا۟ ﴾ جُزِم بالنهيِ .

وفى قولِه : ﴿ وَتَدْعُوٓا۟ ﴾ **وجهان ؛ أحدُهما** : الجزمُ على العطفِ على : ﴿ تَهِنُوا۟ ﴾ . فيكونُ معنى الكلامِ : فلا تَهِنوا ولا تَدْعوا إلى السلمِ . **والآخرُ** :

---

(١) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ٢/٢٢٤ عن معمر به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/٦٧ إلى عبد بن حميد .
(٢) تفسير مجاهد ص ٦٠٥ ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/٦٧ إلى عبد بن حميد .

النصبُ على الصرفِ[١] .

وقولُه : ﴿ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾ . يقولُ : ولن يَظْلِمَكم أجورَ أعمالِكم فيَنقُصَكم ثوابَها . من قولِهم : وتَرتُ الرجلَ . إذا قتلتَ له قتيلًا ، فأخَذتَ له مالًا غصبًا .

وبنحوِ الذى قلْنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾ . يقولُ : لن يَظْلِمَكم[٢] أعمالَكم[٣] .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، **وحدَّثنى** الحارثُ ، قال : ثنا الحسنُ ، قال : ثنا ورقاءُ ، جميعًا عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِه : ﴿ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾ . قال : لن يَنقُصَكم[٤] .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾ . أى : لن يَظْلِمَكم أعمالَكم .

حدَّثنا ابنُ عبد الأعلى ، قال : ثنا ابنُ ثورٍ ، عن معمرٍ ، عن قتادةَ مثلَه[٥] .

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ وَلَن

---

(١) ينظر ما تقدم فى ٦/٩٢ .

(٢) بعده فى م : « أجور » .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/٦٧ إلى المصنف .

(٤) تفسير مجاهد ص ٦٠٦ ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/٦٧ إلى عبد بن حميد .

(٥) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ٢/٢٢٤ عن معمر به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/٦٧ إلى عبد بن حميد .

يَتِرْكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾ . قال : لن يَظْلِمَكم أعمالَكم ، ذلك ﴿ يَتِرْكُمْ ﴾[١] .

حُدِّثتُ عن الحسينِ ، قال : سمِعتُ أبا معاذٍ يقولُ : أخبَرنا عبيدٌ ، قال : سمِعتُ الضحاكَ يقولُ فى قولِه : ﴿ وَلَن يَتِرْكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾ . قال : لن يَظْلِمَكم أعمالَكم[٢] .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه حاضًّا عبادَه المؤمنين على جهادِ أعدائِه ، والنفقةِ فى سبيلِه ، وبذلِ مُهجِهم فى قتالِ أهلِ الكفرِ به : قاتِلوا أيُّها المؤمنون أعداءَ اللَّهِ وأعداءَكم من أهلِ الكفرِ ، ولا تَدْعُكم الرغبةُ فى الحياةِ إلى ترك قتالِهم ، فإنما الحياةُ الدنيا لعبٌ ولهوٌ ، إلا ما كان منها للَّهِ ؛ من عملٍ فى سبيلِه ، وطلبِ رضاه ، فأما ما عدا ذلك فإنما هو لعبٌ ولهوٌ ، يَضْمَحِلُّ فيذْهَبُ ، ويَنْدَرِسُ فيَنْمَحى[٣] ، أو إثمٌ يَبْقَى على صاحبِه عارُه وخِزْيُه ، ﴿ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ / وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ ﴾ . يقولُ : وإن تَعْمَلوا فى هذه الدنيا التى ما كان فيها مما هو لها فلعبٌ ولهوٌ ، فتُؤْمِنوا به ، وتَتَّقوه بأداءِ فرائضِه واجتنابِ معاصيه ، وهو الذى يَبْقَى لكم منها ، ولا يَطُولُ بُطُولَ اللهوِ واللعبِ ، ثَمَّ يُؤْتِكم ربُّكم عليه أجورَكم ، فيعوِّضكم منه ما هو خيرٌ لكم منه يومَ فقرِكم وحاجتِكم[٤] إلى أعمالِكم ، ﴿ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴾ . يقولُ : ولا يسألُكم ربُّكم ٦٥/٢٦

---

(١) ذكره الطوسى فى التبيان ٩/ ٣٠٦.

(٢) ذكره البغوى فى تفسيره ٧/ ٢٩٠.

(٣) فى ص ، ت١ : « فينمى » ، وفى م : « فيمر » .

(٤) بعده فى ت ١: « إليه » .

أموالَكم ، ولكنه يُكَلِّفُكم توحيدَه ، وخلْعَ ما سِواه من الأندادِ ، وإفرادَ الألوهةِ والطاعةِ له ، ﴿ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا ﴾ . يقولُ جلَّ ثناؤُه : إن يَسْأَلْكم ربُّكم أموالَكم ، ﴿ فَيُحْفِكْكُمْ ﴾ . يقولُ : فيُجْهِدْكم بالمسألةِ ، ويُلِحَّ عليكم بطلبِها منكم فيُلْحِفْ ، ﴿ تَبْخَلُوا۟ ﴾ . يقولُ : تَبْخَلوا بها ، وتَمْنَعوها إياه ؛ ضنًّا[1] منكم بها ، ولكنه علِم ذلك منكم ومن ضِيقِ أنفسِكم ، فلم يَسْأَلْكموها .

وقولُه : ﴿ وَيُخْرِجْ أَضْغَـٰنَكُمْ ﴾ . يقولُ : ويُخْرِجْ جلَّ ثناؤُه لو سأَلكم أموالكم بمسألتِه ذلك منكم ، أضغانَكم . قال : قد علِم اللَّهُ أن فى مسألتِه المالَ خروجَ الأضغانِ .

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : [٨٣٠/٢ظ] ﴿ فَيُحْفِكْكُمْ تَبْخَلُوا۟ ﴾ . قال : الإحفاءُ أن تَأْخُذَ كلَّ شىءٍ بيدَيْك .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ هَـٰٓأَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَـٰلَكُم ﴿٣٨﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه للمؤمنين : هأنتم أيُّها الناسُ ، ﴿ هَـٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ . يقولُ : تُدْعَون إلى النفقةِ فى جهادِ أعداءِ اللَّهِ ونُصرةِ دينِه ، فمنكم من يَبْخَلُ : بالنفقةِ فيه .

وأُدخِلت « ها » فى موضعين ؛ لأن العربَ إذا أرادت التقريبَ جعَلت المكنىَّ بينَ « ها » وبين « ذا » ، فقالت : ها أنت ذا قائمًا . لأن التقريبَ جوابُ الكلامِ ، فربما أعادت « ها » مع « ذا » ، وربما اجتزَأت بالأولى وقد حُذِفت الثانيةُ ، ولا يُقدِّمون

---

(١) فى ص ، ت ١ : « منا » ، وفى ت ٢ ، ت ٣ : « ما » .

« أنتم » قبل « ها » ؛ لأن « ها » جوابٌ ، فلا تُقرَّبُ بـ « ها » بعدَ الكلمةِ .

وقال بعضُ نحويِّى البصرةِ : جعَل التنبيهَ فى موضعين للتوكيدِ .

وقولُه : ﴿ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه : ومَن يَبْخَلْ بالنفقةِ فى سبيلِ اللَّهِ ، فإنما يَبْخَلُ عن بُخلِ نفسِه ؛ لأن نفسَه لو كانت جوادًا لم تَبْخَلْ بالنفقةِ فى سبيلِ اللَّهِ ، ولكن كانت تجودُ بها ، ﴿ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه : ولا حاجةَ للَّهِ أيُّها الناسُ إلى أموالِكم ولا نفقاتِكم ، لأنه الغنىُّ عن خلقِه ، والخلقُ الفقراءُ إليه ، وأنتم من خلقِه ، فأنتم الفقراءُ إليه ؛ وإنما حضَّكم على النفقةِ فى سبيلِه ليُكْسِبَكم بذلك الجزيلَ من ثوابِه .

/ وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ . ٦٦/٢٦

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى يونُسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ﴾ . قال : ليس باللَّهِ تعالى ذكرُه إليكم حاجةٌ ، وأنتم أحوجُ إليه .

وقولُه تعالى ذكرُه : ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه : وإن تَتَوَلَّوْا أيُّها الناسُ عن هذا الدينِ الذى جاءَكم به محمدٌ ﷺ ، فتَرْتَدُّوا راجعين عنه ، ﴿ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ﴾ . يقولُ : يُهْلِكْكم ثم يَجِئْ بقومٍ آخرين غيرِكم بدلًا منكم ، يُصَدِّقون به ويَعْمَلون بشرائعِه ، ﴿ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴾ . يقولُ : ثم لا يَبْخَلوا بما أُمِروا به من النفقةِ فى سبيلِ اللَّهِ ، ولا يُضَيِّعوا شيئًا مِن حدودِ دينِهم ، ولكنهم يقومون بذلك كلِّه على ما يُؤْمَرون به .

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ﴾ . يقولُ : إن تولَّيتُم عن كتابى وطاعتى أَسْتَبْدِلْ قومًا غيرَكم . قادرٌ واللَّهِ ربُّنا على ذلك ؛ على أن يُهْلِكَ[1] ويأْتىَ مِن بعدِهم مَن هو خيرٌ منهم .

حدَّثنا ابنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا ابنُ ثورٍ ، عن معمرٍ ، عن قتادةَ : ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ﴾ . قال : إن تولَّوا عن طاعةِ اللَّهِ[2] .

حدَّثنى يونُسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ﴾ .

وذُكِر أنه عُنِى بقولِه : ﴿ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ﴾ . العَجَمُ مِن عجمِ فارسَ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا ابنُ بَزِيعٍ البغدادىُّ أبو سعيدٍ ، قال : ثنا إسحاقُ بنُ منصورٍ ، عن مسلمِ بنِ خالدٍ ، عن العلاءِ بنِ عبدِ الرحمنِ ، عن أبيه ، عن أبى هريرةَ ، قال : لما نزَلَت : ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا أَمْثَٰلَكُم ﴾ : كان سلمانُ إلى جنبِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، مَن هؤلاء القومُ الذين إن تولَّينا اسْتُبْدِلوا بنا ؟ قال : فضرَب النبىُّ ﷺ على مَنْكِبِ سلمانَ ، فقال : « مِن هذا وقومِه ، والذى نفسى بيدِه لو أن الدينَ تعَلَّق بالثُّرَيَّا لنالَته رجالٌ مِن أهلِ فارسَ » .

---

(١) فى م : « يهلكهم » .

(٢) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ٢/٢٢٤ عن معمر به .

حدَّثني يونُسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : أخبَرني مسلمُ بنُ خالدٍ ، عن العلاءِ بنِ عبدِ الرحمنِ ، / عن أبيه ، عن أبي هريرةَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ تلا هذه ٦٧/٢٦
الآيةَ : ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم ﴾ . قالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، مَن هؤلاء الذين إن تولَّينا اسْتُبْدِلوا بنا ثم لا يَكونوا أمثالَنا ؟ فضرَب على فَخِذِ سلمانَ ، قال : « هذا وقومُه ، ولو كان الدينُ عندَ الثُّرَيَّا لَتناوَله رجالٌ مِن الفرسِ »[(١)] .

حدَّثنا أحمدُ بنُ الحسنِ الترمذيُّ ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ الوليدِ العَدَنيُّ ، قال : ثنا مسلمُ بنُ خالدٍ ، عن العلاءِ ، عن أبيه ، عن أبي هريرةَ ، قال : نزَلَت هذه الآيةُ وسلمانُ الفارسيُّ إلى جنبِ رسولِ اللَّهِ ﷺ تَحُكُّ ركبتُه ركبتَه : ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم ﴾ . قالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، ومَن الذين إن تولَّينا اسْتُبْدِلوا بنا ثم لا يكونوا أمثالَنا ؟ قال : فضرَب فَخِذَ سلمانَ ، ثم قال : « هذا وقومُه » .

وقال مجاهدٌ في ذلك ما **حدَّثني** محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، **وحدَّثني** [٢/٨٣١و] الحارثُ ، قال : ثنا الحسنُ ، قال : ثنا ورقاءُ ، جميعًا عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ﴾ : مَن شاء[(٢)] .

وقال آخرون : هم أهلُ اليمنِ .

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم - كما في تفسير ابن كثير ٧/٣٠٦ - ، والبغوي في تفسيره ٧/ ٢٩١، وفي شرح السنة (٤٠٠٠) من طريق يونس به ، وأخرجه الطبراني في الأوسط (٨٨٣٨) من طريق مسلم بن خالد به ، وأخرجه الترمذي (٣٢٦٠، ٣٢٦١) ، والحاكم ٢/ ٤٥٨، والبيهقي في الدلائل ٦/٣٣٤ من طريق العلاء بن عبد الرحمن به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٦/٦٧ إلى سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه .

(٢) تفسير مجاهد ٦٠٦، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٦/٦٧ إلى عبد بن حميد .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ عوفٍ الطائىُّ ، قال : ثنا أبو المغيرةِ ، قال : ثنا صفوانُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا راشدُ بنُ سعدٍ وعبدُ الرحمنِ بنُ جبيرٍ وشريحُ بنُ عبيدٍ فى قولِه : ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا أَمْثَٰلَكُم ﴾ . قال : أهلُ اليمنِ[1] .

آخرُ تفسيرِ سورةِ محمدٍ ﷺ

(١) ذكره القرطبى فى تفسيره ١٦/٢٥٨ عن شريح بن عبيد .